إلى القارئ

وذكرى ...!

احتفل الشعب التونسي يوم عشرين مارس الفارط بالذكرى العشرين لنيله الاستقلال وفوزه بالحرية ، واستعرض المكاسب المعنوية والمادية التي تحققت وجعلت البلاد التونسية تنتصر ـ أو تكاد ـ (1) على ما أورثته عصور الانحطاط وخلفه سرطان الاستعمار الفرنسي من تخلف اقتصادي وتدهور اجتماعي وجدب ثقافي وعزلة حضارية ، وتقطع أثناء مدة قصيرة نسبيا مراحل عملاقة في درب المسؤولية والتطور والنمو والازدهار والكرامة ، ناهيك أن وثائق الامم المتحدة تشهد بأن الدخل الفردي المتوسط نما من 173 دولار سنة 1958 الى 550 دولار سنة 1975 ، وأن تونس أصبحت تحتل المرتبة الخامسة في أهمية متوسط الدخل الفردي (2) ، وهو ما يشاهده بأنفسهم التونسيون، وكل الضيوف الذين يتجولون في كامل أنحاء البلاد ، من خلال ما يشيد بأطراد من مدارس وكليات ومعاهد علمية وتكنولوجية ومستشفيات ودور شباب ونوادي أطفال وملاعب رياضية ونزل سياحية وسدود ومعامل وما يعبد من طرقات ويستجلب من مياه ويوفر من طاقة كهربائية ويبعث من مشاريع اقتصادية وزراعية وعمرانية ، وهو ما يقر به التونسيون وخاصة الكهول والشيوخ ـ ربما أكثر من الشباب الذين لم يعرفوا الاستعمار وفتحوا أعينهم في عهد النور والمساواة والحرية ـ ويسجله الملاحظون والدارسون الاجانب عندما يشاهدون الثورة العميقة الاصيلة المتجلية ، لا في الشعارات الجوفاء والنظريات البراقة التي قلما يدعمها الواقع ، بل في تحول العقليات والذهنيات وتخلصها من اغلال العجز والخوف والانهزامية والتصور الخاطيء لمفهوم القضاء والقدر ، وفي تحرر المرأة ـ وتحرر الرجل بالمعنى الكامل الشامل بفضل تحرر المرأة الزوجة والأم والأخت والمربية والعاملة

---

(1) هذا ما نؤمله في نهاية المخطط الخماسي أي سنة 1981 حيث يحتفل بمرور قرن على انتصاب الحماية الفرنسية في هذه البلاد .

(2) مع العلم أن البلدان الاربعة الاولى (ليبيا ـ القابون ـ افريقيا الجنوبية ـ الجزائر) تمتلك ثروات معدنية أو نفطية هامة جدا .

والمواطنة ... ورعايتها صحيا ونفسيا واجتماعيا ، وممارسة حقوقها واضطلاعها بواجباتها ، وفي الاطاحة بنظام البايات الاقطاعي الرجعي المتواطىء مع الاستعمار ، والاعلان عن الجمهورية وتمكين المواطنين من سياسة أمرهم بأنفسهم واختيار نواب عنهم بكل حرية ، وفي توحيد القضاء وتعميم التعليم ودمقراطيته وفيما نتج عن كل ذلك من حركة اجتماعية وحركية ثقافية وطموح شعبي عارم عميق لا يزال يحدو بالجماهير الى الأحسن والأعدل والأعلى والأجمل ... وكذلك فيما أبرزته هذه المنزلة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الجديدة من مضاعفات ومشاكل وإفراط في الطموح أو تعجل للوصول ... ما كانت لتحدث لو بقي الشعب مكبلا ، راضيا بحاله ، مخدر الذهن ، مسلوب الارادة ، مهيض الجناح ، مرددا أنه ليس في الامكان أبدع مما كان ! أي لو لم توفق الحركة الوطنية بقيادة الرئيس الحبيب بورقيبة – إبان الكفاح وفي طور البناء والتشييد – الى توعية الجماهير وتربيتها وإيقاظها الى حقيقة منزلتها وتبصيرها بأبعاد الكرامة واحترام الذات ، ومجاهرتها بالحقائق ولو كانت مرة وتجنيبها خدعة المزايدات ومغبة الغوغائية ، ورياضتها على التفكير السليم والعمل الصالح المستقيم .

ويحسن بنا ونحن نعيد الى الأذهان المكاسب ونقدر الخطوات التي سجلناها في طريق الكفاية والحضارة أن نذكر الاجيال الصاعدة خاصة ببعض الحقائق حتى يضعوها دائما نصب أعينهم لا يحيدون عنها لا ذات اليمين ولا ذات الشمال ، بل يرجعون اليها فيما هم بصدده من عمل وجهاد ، حفاظا على شخصية هذه البلاد ودرءا لكل أنواع الامبريالية والتسيطر التي تتهددها شرقا وغربا .

– إن الاستقلال ليس هبة منت بها الأقدار أو أتت بها رياح التاريخ أو تبرعت بها علينا بعض الدول الاجنبية ، بل هو غزو وفتح وثمرة جهاد قاس طويل مرير تعاقبت عليه وساهمت فيه أجيال وأجيال من القادة والمواطنين منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ثم أطره ونظمه وضبط محتواه واستراتيجيته الحزب الحر الدستوري منذ نشأته يوم 2 مارس 1934 بفضل ايمان الرئيس الحبيب بورقيبة ووطنيته وكفاءته وعبقريته السياسية ، اذ هو أول من اتجه للجماهير وخاطبها ونظم صفوفها وعلمها كيف ترفع الرأس وتفضل الموت الكريم على العيش الذليل .

– ثم إن هذا الكفاح من أجل الاستقلال كان وما زال نضالا من أجل عودة الروح الى هذه الأمة والحفاظ على مقوماتها العربية الاسلامية وصيانتها من شتى أنواع المسخ والابتلاع والاحتواء ، ونحن لئن قتلنا في المهد منذ 1933

حركة التجنيس الآثمة وأصبحنا نمسك بأيدينا مفاتيح نهضتنا الثقافية وازدهارنا الحضارى فان اليقظة واجبة بازاء المحاولات الخبيثة والمتعددة التى تستهدف السيطرة الروحية والاديولوجية والثقافية على هذه الامة بعنوان الاشتراكية والتقدمية أو الانفتاح والتعاون او الوحدوية الرجعية الضالة التى تردد كلمات حق وتريد بها باطلا ...

وإذن فانه من حق الوطن علينا ومن الوفاء لأرواح آلاف الشهداء الذين ماتوا لتحيا تونس حرة عزيزة كريمة ، وحرصا على ألا يدخل الاستعمار ـ مهما كان نوعه ـ من الشباك بعد ان خرج من الباب ، ألا نكتفى باقامة الحفلات والشعور بالنخوة والمباهاة بالانجازات بل ـ الى جانب ذلك ـ أن نحافظ على عروتنا القومية الوثقى ونصون مقوماتنا الاصيلة ونجتنب أسباب الشحناء والبغضاء والفرقة ، ونرهف السمع الى أشواق الشباب ونفتح أمامهم مزيدا من الامكانات كى يساهموا فى ملحمة البناء والتشييد والمناعة .

ولئن كان فاليرى يقول عن أوروبا قاطبة إنها « رأس صغير كائن فى طرف القارة الآسيوية » فانه يحق لنا ـ ايمانا بطرافة الشعوب وأصالتها وخصائصها الذاتية واحتراما لانفسنا ـ القول بأن تونس الصغيرة الكبيرة واجبة الوجود والتقدير ، لن تخشى إذاية التافهين ومكايد الحاسدين ونوائب الدهر وطغيان الاحداث ما دام شعبها واعيا متضامنا وفيا للماضى الروح لا الماضى اللفظ ، متفتحا بالمعنى الفاعل لا بالمعنى القابل .

إن المذاهب التوسعية لن تتخطفنا والمطامع الاجنبية لن تنال منا وأنياب النقد والحقد لن تكظم الا الاوهام ما دمنا نحن واثقين من انفسنا مؤمنين بوطننا واعين لرسالتنا ، سائرين فى النهج الذى اخترناه وحققنا به الاستقلال السياسى والتحرر الانسانى والنهضة الاجتماعية والاقتصادية ...

إن الجهاد متواصل ، وجهاد النفس ، الفردية والجماعية ، لهو أنبل أنواع الجهاد وأضمنها لبقاء الوطن وألصقها بعزة النفس وأوفاها الى ذات الانسان يحيا ويموت ، فيحيا ، من أجل الوطن وفى سبيل المبدإ ويعمل ليملى على المستقبل طموحه !

هذه حقائق مستوحاة من الذكرى العشرين لاستقلال تونس أردت أن اذكر بها بعضنا بعضا . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين !

محمد مزالي

ارفعي الرأس ...!

الى تونس الجميلة في عيدها العشرين

شعر أحمد اللغماني

ارفعي الراس كبرياءً وعُجبَا واسحبى بُردك المرفرف سحبَا
انت احرى ان تركبى جبهة الكـ ـوكب متنا يُظل شمسا وشهبا
ان من عمره الشباب جدير ان يعب الشموخ والكبر عبا
ما على غادة ملام اذا ما أومأت للهوى الجموح فلبى
وسعى بالصباح يمسح خدا وجرى بالدجى يكحل هدبا
وارتمى عند رجلها ينثر الور د بساطا ، ويفرش الفل دربا
ما على غادة ملام اذا لاحت فهامت بها الخلائق حباً
لا ! ولا لوم ان تعلق مفتون بآيات سحرها فاحباً
انت — يا تونس الجميلة — من تمتلك العاشقين صبا فصبا
وانا ذلك المحب توارى في خضم ، وفي ازدحام تخبّى

* * *

لي مزاج غَيرانُ — ياتونس الخضراء — يستنكر الشريك ويأْبى
هكذا فطرتي : على الغيرة الهوجاء قد شب خافقي وتربى
غير اني رايت في لحظك الـ صبوة هاجت ، ولاعج الشوق شبا
ولمحت السلك الخفي جناحا قدسيا يضم قلبا وقلبا
وتتبعت نظرة ، واسترقت السمع من زفرة ، وطالعت لبا
فتبينت — يا جميلة — اني منك ادنى ، وانت منيَ أنبَى
وتيقنت ان قلبك لاه بحبيب يحظى لديك ويُحبى

معك الحق ! انه دائم العشـ ـــق ، مقيم عليه أولى وعقبى
وقلوب العشاق فصليَّة الاطـ ـــوار ، مثل الصَّبا سكونا وهبَّا
معك الحق ! لا حبيب سواه يمنح الحب سلسبيلا وعذبا
غيرتي قد طرحتها خلف ظهري فاغفري لي ! وانسي ملاما وعتبا
خاطريِ الحائر اطمأن ، فان احبـ ـبتِ هذا «الحبيب» احببتِ شعبا

* * *

أوتدرين ؟ ياجميلة والعشـ ـــرون مثل الربيع تخصب جديا
وتفور الحياة فيها قلا تعـ ـــرف صبرا ، ولا ترزُّن وثبا
سكرة حلوة تمر على الاعمار كالطيف ينهب الحلم نهبا
والشباب الجريء يقتحم المجهـ ـــول ، لا ينثني ولا هو يعبا
اوتدرين ان عشرينك الخضـ ـــراء كانت في ظلمة الدهر غيبا ؟
في طوايا الاحقاب ظلت كسرٍّ أسدلت دونه المقادير حجبا
كنت بين الحياة والموت ـ ياحسـ ـــناء ـ كاللعبة اختطافا وجذبا
في سبات مخدر قد تلاشى فيه نبض الحياة ، والموت دبَّا
كنت تلك الحسناء ترقد في الاد غال ، نهبا لكل وحش وسلبا
مر دهر والجفن منك غميض وشؤون الحياة هوجاء غضبى
خشن المرقد المهين وما احسـ ـــست رضًا ، ولا تشكَّيتِ جنبا
أنس النائمون في «الكهف» بالصحـ ـــب ، وكانت لك الخيالات صحبا

* * *

ويدور الزمان دورة خير ودفين الآمال ينجم رطبا
ويطل الربيع في الموعد المضـ ـــروب ، يستصحب البشائر ركبا
وتهز الادغال هزة صحو فترف المروج عودا وعشبا
ويذوب الجليد من لمسة الشمـ ـــس ، ويُسقى الفضا من النور ذوبا

ثم ياتيك فارس مفرد السير ، وحيدا يخبّ نحوك خبّا
عرفته الفجاج جوّابَ آفاق طواها اليك صوبا فصوبا
تترامى الطريق من تحت رجليه وتزورُّ عنه شرقا وغربا
وخيالات وحشة تترامى كرؤى الجن تملأ الليل رعبا
وخطى الفارس الدؤوب، ونبض الـ ـقلب لايفتران مدا وضربا
ويطل الوجه المشوق على وجـ ـه مشوق فيجمع الشمل غبا
لمسة من بنانه فاذا اليقظة نور لريٍّ عينيك صُبّا
فيضه من عيون فارسك المشـ ـتاق ، قد راق منبعا ومصبا

* * *

اوتدرين ـ يا جميلة ؟ ـ والعشرون تغرى وتملأ النفس عجبا
اوتدرين مهرها ؟ اوتحصين كم استنزفت وريدا وقلبا ؟
يرخص العمر كلما عزّت النفس وكانت لها الشجاعة دأبا
رُبَّ عمر يزداد بالبذل عمرا وعطاء يُردُّ غنما وكسبا
وفتاك الكريم اكرم من اعطى واغنى من استرد فأربى
بغضيض الشباب ضحى وما اشـ ـفق ، وابتاع بالشبيبة شيبا
غاية الحب ـ ياجميلة ـ ان تصهر ارواحنا ، وتسكب سكبا
وقصاراه : مهجة لك تهدى لا خراج عن المكاسب يجبى
فَأْذني لي ، وليأذن الشعب ألثمْ جبهة كرَّمت بلادا وشعبا

الاخوة العربية الاسلامية

بقلم : البشير بن سلامة

نعتزم في هذه الدراسة تقصي مفهومين (*) أصبحا بارزين في العالم العربي الاسلامي وهما من جهة الوطنية أي الارتباط بالوطن الذي له كيانه القانوني والواقعي ومن جهة أخرى الرابطة التي تصل بين أفراد المجموعة العربية الاسلامية في تطورها وتقمصها أشكالا متنوعة بحسب المكان والزمان ، خاصة وأن هذا المفهوم الثاني مرتبط بشعور ما زال غامضا اذ تراكبت عليه مدلولات مختلفة وتجسم في صور متعددة وتسمى تارة بالأمة وطورا بالجامعة الاسلامية وأخرى بالخلافة ورابعة بالقومية وخامسة بالوحدة ، وهي كلها مدلولات تبرز شعورا واحدا وهو الانتساب الى مجموعة أخرى غير المجموعة الصغيرة التي يرتبط بها الفرد موضوعيا من حيث مصالحه المجسمة الواقعية .

الأمة والخلافة والجامعة الاسلامية :

هذا الشعور الدفين الذي رباه الاسلام والحضارة الاسلامية في نفس كل مسلم هو الذي جعله يحن الى الانتساب الى مجموعة أخرى غير مجموعته التي يرجع اليها أولا وبالذات ناهيك أنه برز حتى في الفترة الاخيرة من كفاحنا التحريري اذ أوجد زعماء افريقيا الشمالية في فترة انحلال العالم الاسلامي مفهوم المغرب العربي الذي لم يجد بعد المجال للتغلغل في جماهير الناس بل صنعته أفهام النخبة التي كانت تكافح في سبيل تخليص هذه الشعوب من نير الاستعمار وهي حاجة أحس بها من هم أكثر الناس تقمصا لشخصيات الشعوب الممثلين لها .

(*) هذه الدراسة مقتطفة من أحاديث أذيعت عن طريق الاذاعة التونسية خلال شهري جانفي وفيفري ولم أتمكن للاسف من الاستفادة من خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة الذي ألقاه ليلة المولد النبوي الشريف (12 مارس 1976) في هذا المعنى .

يقول عباس محمود العقاد : « آمن المسلمون بالحق الالهى فجعلوا الامة مصدرا لجميع السلطات ومرجعا لجميع المسؤوليات ، وهذا هو الحق الالهى اذا فهم على سوائه ولم تنحرف به الاهواء الى غير معناه خدمة للمطامع وتزجية للمآرب عند ذوى السلطان » (1) .

وأوجد المسلمون من أول الامر من يكون عمليا مصدرا لجميع السلطات ومرجعا لجميع المسؤوليات فكان الخليفة الذى هو خليفة للنبىء ليس الا ولكنه يرمز الى هذا الكيان الجديد الا وهو الامة ومن هنا أصبحت الخلافة هى الرمز وهى كما قال شكيب ارسلان : « ليست بملك ولا سلطنة ، وانما هى رعاية عامة للامة لاقامتها على الشرع الحنيف وردع القوى عن الضعيف فى الداخل وصيانة الاسلام ودفع المعتدى على المسلمين من الخارج وهى لا تنعقد الا بارادة الامة والسلطان الذى يؤتاه صاحب الخلافة هو من الامة لا سلطان له عليها الا منها » (2) .

وهذا بالضبط ما قاله الصدر الاعظم خير الدين قبل ان يتولى هذا الاخير الوزارة عندما زار اسلامبول : « ان السلطنة العلية لا حاجة لها بمال من تونس ولا بتغيير حالتها الاصلية وانما الامر الواجب على الجميع هو تقوية الربط الدينى وجمع كلمة الامة المحمدية حتى لا تتوجه نحوها الاطماع وخبر ما فعله قنصل الفرنسيس بتونس شاع وذاع وتوقع المسلمون منه المكروه » (3) .

ثم لما تقهقر أمر الخلافة أحيى القوم فكرة الجامعة الاسلامية التى هى ليست فى اعتقادهم وعلى مختلف حالاتها وتطوراتها : « حركة سياسية دفاعية محمولة على الغرب ردا لاعتدائه ودفعا لجوره فحسب بل ان منشأها الاصلى هو المشاعر النفسانية الوجدانية العميقة فى المسلمين لصيانة الوحدة وتوثيق عرى الجامعة العامة فان هذه الجامعة ليست دينية فقط بل انها بحقيقة المعنى والمراد اجتماعية خلقية تهذيبية وان القوانين والقواعد التى تتألف منها وتقوم

---

(1) عباس محمود العقاد ، حقائق الاسلام ، دار الكتاب العربى ، بيروت 1966 ، ص 214 .

(2) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ج 1 ، ص 240 .

(3) أحمد ابن أبى الضياف ، اتحاف أهل الزمان ، ، ج 6 ، ص 27 .

عليها حياة الاسرة الاسلامية على مختلف العادات والاقاليم لا تتغير في موضع عنها في موضع آخر في جميع المعمور الاسلامي » (1) ٠

ويظهر جليا ان فكرة الجامعة الاسلامية جاءت لتوسع في مفهوم الخلافة حتى ان شكيب أرسلان يقول : « لا ينكر ان الخلافة ما برحت رفيعة المكانة في عيون المسلمين بلا ريب غير ان قادة الجامعة الاسلامية الحديثة ذوى العقول الثاقبة والذكاء المتوقد ما فتئوا منذ عهد بعيد يجدون في سبيل الجامعة الاسلامية في نطاق أوسع وافق أبعد وقد أيقنوا كل الايقان ان القوة الكبرى التي تستمدها الجامعة الاسلامية اليوم ليست من مركز الخلافة ولكن من بيت الله الحرام حيث الحجيج اذ يأتمرون كل عام مؤتمرا عظيما » (2) ٠

ثم ان هذا المفهوم نفسه يتطور ليصبح بارزا في عبارة اخرى سيكون لها وقع وأى وقع في الخمسينات ثم الستينات وهي الوحدة وابرزها منذ زمان شكيب ارسلان عندما قال : « الجامعة الاسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الاسلامي » (3) ٠ ثم يزيد قائلا : « ان الوحدة الاسلامية انما هي قائمة على ركنين هما أساساها لا ثالث لهما : الحج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة والخلافة » ٠

ولكن هذا الركن الاخير اى الخلافة قد انهار ولذا يضطر الشيخ الطاهر ابن عاشور الى ان يقول : « ان ايجاد الجامعة الاسلامية لما كان حادثا جديدا في تاريخ الجامعة البشرية ولم يكن مألوفا للعرب ولا لغيرهم وكان مرتكزا على أصل نفساني محض يخفى وجوده ولا يمكن شهوده كان بحاجة الى تأييد يبرزه في النفوس في مبدا أمره وعلى ممر العصور والى مظهر محسوس يكون به شاهدا للناس والثاني تقريب وتمثيل مألوف عند البشر من قديم التاريخ ٠ اما المظهر الاول فهو ايجاد المجتمع الاسلامي واما الثاني فهو رابطة الاخوة الاسلامية » (4) ٠

---

(1) شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامي ، ج 1 ، ص 320 ٠

(2) نفس المرجع ، ص 291 ٠

(3) نفس المرجع ، ص 288 ٠

(4) الطاهر بن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الاسلام ، الشركة القومية للنشر والتوزيع ، تونس 1964 ، ص 115 ٠

ووجد كذلك مفهوم الدولة الاسلامية ويعتقد احد الكتاب الباكستانيين : « انه لا توجد اليوم دولة يمكن ان تتصف بالدولة الاسلامية » (1) لان : « الغاية من قيام الدولة الاسلامية هى ايجاد الجهاز السياسى الذى يحقق وحدة الامة الاسلامية وتعاون أفرادها » (2)

القومية والوطنية والوحدة :

1) القومية :

نرى كيف أن هؤلاء الزعماء والمصلحين والمفكرين لم يبلوروا هذه المفاهيم ولم يتفقوا عليها بل بقيت غامضة فى اذهان الناس ترتكز على مشاعر حقيقية لا محالة ولكنها لم تصل الى درجة الوعى والمفهوم المعقل فضاعت القضايا المصيرية بالنسبة للشعوب الاسلامية فى هذه المتاهات وقاست هذه الشعوب من ويلات الاستعمار وآثار الفرقة والتطاحن ما كان يمكن تلافيه لو استند هؤلاء المفكرون والمصلحون الى واقع الشعوب ٠

ثم انه لم يكف هذا بل انه اختلطت الامور بعد سقوط الخلافة وبعد ان كان المسلم فى اى بقعة من الرقعة الاسلامية يعتبر نفسه مواطنا عثمانيا ناهيك ان : « الباب العالى احتج بتاريخ 12 / جوان / 1881 وأعطى أمرا لموظفيه بمعاملة التونسيين على أساس انهم مواطنون عثمانيون وليسوا تحت الحماية الفرنسية » (3) ٠ بعد هذا زادت الحيرة فى صفوف المسلمين وسجله شكيب ارسلان عندما قال : « بهذه الايام نجم عندهم كما عند غيرهم من الامم الاسلامية فئة تدين بالقومية وتحارب الجامعة الاسلامية ولكنها لا تزال ضعيفة بالقياس الى السواد الاعظم الذى عمدته الاسلام » (4) ٠ بينما فهم الافغانى

---

(1) و (2) محمد أسد ، منهاج الاسلام فى الحكم ، نقله الى العربية منصور محمد ماضى ، دار العلم للملايين ، بيروت 1957 ، ص 11 ، ص 69 ٠

(3) الدكتور عبد الرحمن تشايجى ، المسألة التونسية ، نقله الى الفرنسية وعلق عليه الدكتور عبد الجليل التميمى ، دار الكتب الشرقية ، تونس 1973 ، ص 271 ٠

(4) شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ج 1 ، القاهرة 1352 ، ص 157 ٠

المستنير لمبادىء الاسلام وافكاره جعله يرفض التناقض المزعوم ما بين الاسلام والقوميات ومن ثم فان نضوج الفكر القومي لديه لم يكن يعنى ادارة الظهر للتضامن الاسلامى بل ولا الرفض للجامعة الاسلامية والخلافة الاسلامية » (1) . ويعود شكيب ارسلان نفسه ليبين قائلا : « انه ينبغى لكل أمة ان تتمسك بجامعتها القومية فى صدور ابنائها وان ذلك لا ينافى الاسلام » (2) . فى الحال الذى نجد محمد أسد الباكستانى يقول : « ان القومية فى كل صورها وازيائها المختلفة تتنافى مع المبادىء الاسلامية للاسلام هذه المبادىء التى تقوم على المساواة بين الناس ولهذا يجب ان تنفى القومية كأساس تقوم عليه وحدة المسلمين ، ان تعاليم القرآن والسنة تنادى بأن تكون هذه الوحدة ذات طبيعة ايديولوجية تسمو فوق اعتبارات الجنس والنشأة واللغة أخوة عامة تنبثق عن أمر واحد هو اشتراك الناس فى عقيدة واحدة ونظرة اخلاقية واحدة » .

لأزيد توضيحا لهذا الخضم من المفاهيم والافكار التى غرق فيها العالم الاسلامى ولم تعنه على القفزة الواضحة وان حفظت كيانه من الابتلاع أريد ان ارجع الى اقوال بعض الزعماء والمفكرين المسلمين فى معنى القومية ثم الوطنية فالقومية التركية الطورانية مثلا تقول بأن : « الترك هم من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجدا وأسبقها الى الحضارة وانهم هم والجنس المغولى واحد فى الاصل ويلزم ان يعودوا واحدا ويسمون ذلك بالجامعة الطورانية ولم يقتصروا فيها على الترك الذين فى سيبيريا وتركستان الروس وتركستان الصين وفارس والقوقاز والاناضول والروملى بل مبدؤهم مد هذه الرابطة الى المغول فى الصين والى المجار والفنلانديين فى اوروبا وكل من يقال انه ينتمى الى أصل طورانى وهم يقولون بخلاف ما يقول الاولون فهم ترك أولا ومسلمون ثانيا وشعارهم عدم التدين واهمال الجامعة الاسلامية الا اذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية فتكون عندئذ واسطة لا غاية » (3) .

هذه فكرة القومية التى تطورت فيما بعد وارتكزت على قومية اللسان انطلاقا مما قاله الافغانى لان هذا المفكر المصلح قد عالج هذه المفاهيم كلها فى

---

(1) أعمال الافغانى الكاملة ، ص 61 .

(2) شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ج 1 ، القاهرة 1352 ، ص 159 .

(3) شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ج 1 ، ص 159 .

تشابك للآراء وغزارة عجيبة اذ قال : « لا جامعة لقوم لا لسان لهم ولا لسان لقوم لا تاريخ لهم ولا تاريخ لقوم اذا لم يقم منهم أساطين تحمي آثار رجال تاريخها فتعمل عملهم وتنسج على منوالهم » (1) ٠

ولقد انبثقت من هذا كله القومية العربية بفروعها ومفاهيمها المتعددة البعثية والناصرية وغيرها وتولد عنها مفهوم **الوحدة** الذى سنرجع اليه بعد ان نمر على مفهوم الوطنية ٠

2) الوطنية والوحدة :

لقد بقيت رواسب عديدة عند كثير من المثقفين من الفترات السابقة التى سيطر فيها محمد عبده وجمال الدين الافغانى وشكيب ارسلان وغيرهم من المصلحين العرب المسلمين ولكن ما جد من احداث فى الرقعة العربية وما قامت به الحركات التحريرية من صهر للشعوب غربل كل الالتباسات ونزع عنها غشاء الغموض وأصبح لا يهم الجماهير العربية فى الفترة الحاضرة الا التوفيق بين شعورين اثنين : الانتماء الى الوطن اى الوطنية فى معناها العصرى والتعلق بالوحدة سواء العربية أو الاسلامية ٠

ورغم هذا فانه ما زلنا نجد فى المغرب الاقصى مثلا فهما موسعا للوطنية والوحدة ٠ فالوطنية عند علال الفاسى : « تعنى العمل لتحرير الوطن بكل ما تعنى كلمة التحرير من مفاهيم » (2) وهى تعنى عنده « الوطن بكامله » لان المغاربة « ورثوا مغربا لا يشعر فيه المواطن بانه فى وطن الا من خلال المدينة او القرية او القبيلة او الحومة التى يعيش فيها وأصبح الوطن عنده موريطانيا وتوات وتندوف والساقية الحمراء ووادى الذهب وسيدى افنى » (3) وهى تعنى عنده ايضا : « التحرر من الاستعمار الفكرى وهى جهاد لا ينتهى

---

(1) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ، ص 66 ٠

(2) و (3) عبد الكريم غلاب ، ملامح من شخصية علال الفاسى ، الرباط 1974 ، ص 195 ٠

بالاسقلال السياسى » (1) وهى لا تعارض عنده الاسلامية لان الـوطن عنده لن يكون له مفهوم حقيقى الا فى ظل الاسلامية : « فلا يفهـم الـوطن على انه ارض وسماء او مجموعة من مواطنين تجتذب كلا منهم قيم وعقيدة وانما يعتبر الوطن وحده بأرضها وسمائها وبحارها ومواطنيها الموحدين عقيديا العاملين فى اتجـاه واحـد فى ظـل عقيـدة واحدة » « فمن شـرط الـوطنية عنـده الاسـلامية » (2) ٠

ولهذا فان مفهوم الوطنية عند علال الفاسى هو امتداد لهذه القيم المتداخلة الغزيرة التى كان يصدع بها المصلحون فى أوائل هذا القرن وهـذا مقبـول نظرا الى الوضع الخاص الذى يمر به المغـرب الاقصى ورغـم صهـر الحركـة التحريرية له ، وليس من الغريب اذن ان يقول احد الكتـاب : « ان فضـل الحركات التحريرية هو انها كانت سببا فى بعث الوعى الوطنى فى صـورته العصرية ، ويظهر ان البلاد التونسية ومصر هما الوحيدتان من بين البلدان العربية التى لهما شخصيات وطنية بينة المعالم » (3) ٠

ولكن ما هى الوطنية فى معناها العصرى ؟ هى كما حددها بعض الكتـاب الاميركان بالصورة التالية : « ان جوهر الوطنية هو الاعتقـاد بأن مصـالح صنـف اجتماعـى مـا ، أى الوطـن ، أهـم مـن مصـالـح أى فـرد وان الحكومـة هى العنصـر الاسـاسى للتعبيـر عن هذه المصالـح » (4) ٠ ويزيد موضحا الوطنية قائلا : « ان المشكل هو ان الوطنيـة هـى ديمقراطيـة أساسا وان ارادة الشعب ليست محـافظة بالضرورة ، وان اخص خصائص الوطنى الحق هو ان يكون مستعدا للتضحية بكل شىء بما فى ذلـك القيـم التقليدية فى سبيل عزة الوطن ووحدته » (5) ٠

ويتجلى منهذا ان الوطنية الحق هى التى تعتبر مصالح المجموعة أهم من مصالح الفرد اى المصالح التى لا يشترك فيها مع غيـره وان الممـثل لهـذه المصالح المشتركة هى الحكومة وبالنسبة الينا خاصة فى تونس فان مصالح

---

(1) و (2) عبد الكريم غلاب ، ملامح من شخصية عـلال الفـاسى ، الربـاط 1974 ، ص 195 ٠

(3) H. Djaït, problèmatique et critique de l'idée d'unité arabe in Renaissance du monde arabe p. 496.

(4) - (5) Frédérick. M. Watkins, l'ère des idéologies; la pensée politique de 175 à nos jours, Nouveaux horizons 1966.

المجموعة اتسعت من الفهم الضيق للقرية او المدينة او الحي او محط رحال العرش او القبيلة الى الرقعة الجغرافية التي تسمى البلاد التونسية او تونس ، وان هذه الحكومة التي تمثل مصالح المجموعة كانت قبل الاستقلال الحزب الجديد ثم الحكومة الوطنية التي انبثقت عنه بعد الاستقلال ٠

وبهذا تكون الحركة الوطنية اضفت في الواقع مفهوما عصريا للوطنية خاصة اذا اعتبرنا ان الوطن هو : « هذه المجموعة التي تكون واعية بالخصائص التي تميزها عن غيرها مهما كانت الاسباب والتي لا ترضى بحكم الاجانب وتطالب بدولة ذات سيادة خاصة بها » (1) ٠

وهذا بالضبط ما لم يكن موجودا قبل الاستقلال اذ كان التونسيون يرضون في آخر الامر بحكم الاجانب من ترك وغيرهم وان على مضض اذ كان في تونس كما قال الاستاذ عبد الوهاب بوحديبة : « وطنية بدون وطن (بمعنى الأمة) لان هذه لم تبرز قوية الا مع بعث الحزب الجديد سنة 1934 على يد بورقيبة » (2) ٠

ولعل الاجدر أن نقول : كان هناك مجرد حب للوطن فقط لان الوطنية تقتضي وجود الامة ما في ذلك شك ٠

لذا فان الشعور التونسي اليوم مثله كمثل المصري والجزائري والمغربي قد ارتقى الى المرتبة التي تجعل منه يعي انه ينتمي بوطنه الصغير الى أمة بأتم معنى الكلمة فهو يذود عنها ويضحي من أجلها بكل شيء مثلما تم اثناء الحركة والقبيلة لتتسع الى الامة الاسلامية بأجمعها ـ الى وطنية بالمفهوم العصري التحريرية فتحولت تلك الوطنية ـ التي تقتصر على الحي والعرش والمدينة تضم البلاد التونسية مع تقلص الشعور الثاني الذي لم يبق من يمثله اذ كانت الخلافة هي الممثلة له ولكنه تضاءل رغم بقائه في صورة أخرى سنرجع اليها ٠

والدليل على ذلك هو ان هذه الوطنية التي اصبحت لها محتوى مرتبط بالامة التونسية قد مالت شيئا ما الى التضحية ببعض القيم التقليدية التي هي في الواقع ليست من مقومات الشخصية التونسية العربية الاسلامية بل هي دخلت على القيم الاسلامية الاصيلة وحجرتها مثل الفروق الموجودة بين موقف الاسلام من المرأة وبعد ذلك موقف المسلمين منها والمجتمع الاسلامي بصورة عامة وكذلك الفرق بين النظرة الاقتصادية في تطورها في اول الامر وحركيتها وبين جمودها وانحطاطها فيما بعد ٠

---

(1) نفس المرجع ، ص 93 ٠

(2) A. Bouhdiba, A la recherche des normes perdues M.T.E. - p. 19

فالمظاهر التى اصبحت منسوبة الى الاسلام وارتبط بها المجتمع الاسلامى فى أيام انحطاطه أصبح المجتمع الوطنى فى معناه العصرى لا يرضاها بل هو يضحى بتلك المظاهر فى سبيل عزة الوطن ووحدته اى عزة تونس ووحدتها.

ويعترض المعترض قائلا : اذا كانت الوطنية فى مفهومها العصرى قد اتسعت الى الحد الذى به تضحى ببعض القيم التقليدية فى سبيل عزة الوطن ووحدته اى فى سبيل الامة التونسية مثلا او المصرية او غيرها فان هذا قد تم من دون شك على حساب الشعور الثانى الذى كان فى الاول شعور الانتماء الى الامة الاسلامية فى مفهومها القروسطى ثم الجامعة الاسلامية ثم الجامعة العربية ثم الوحدة بمفهوم القومية سواء كانت بعثية او ناصرية ، اقول نعم لان المشكل بالنسبة لكل الشعوب العربية هو ان هذه المفاهيم كلها التى هزت البلاد العربية من أوائل هذا القرن الى انطفاء عبد الناصر قد تلاشت وتجاوزتها الاحداث وتعداها الزمن .

الأخوة العربية الاسلامية :

نعم بقيت رابطة الأخوة العربية والأخوة الاسلامية واقعا ملموسا موجودا فى نفس كل عربى سواء كان تونسيا او مصريا او غيره وهذا الشعور هو الذى يجعل التونسى مثلا يتجاوب بصورة حادة مع الشعب الفلسطينى أكثر مما يفعل مع الشعب الانغولى ويتألم للاحداث التى جدت بلبنان أكثر مما يأسف للحرب الاهلية الموجودة بأنغولا ، هذا واقع لا شك فيه .

ولكن مشكلة المشاكل هو تجسيمه لان آخر مفهوم كان يرمز لهذه الأخوة ويتوق الى تجسيدها هى الوحدة ، ومفهوم الوحدة قد تبخر مع عبد الناصر وهو فى سبيل التلاشى مع تهافت نظريات أخرى لان الاحداث تدل على ان الشعوب العربية بدأت تصل الى درجة من الوعى لا يسمح لها بأمرين باتا وكأنهما مستحيلان : ألا وهو استقطاب هذه الأخوة والتضحية بمصالح المجموعة الوطنية فى سبيل هذه الأخوة .

فأما استقطاب هذه الأخوة فهو يعنى أن ينتصب بلد من البلدان العربية وصيا على العروبة وعلى القومية العربية وعلى الوحدة ، فمن حق أى بلد آخر عربى ان ينازعه ذلك ويقول له بما انه لم يبق من يرمز الى هذا المفهوم بعد الخلافة وبعد فشل عبد الناصر فلماذا لا استقطب أنا ذلك دونك وبأى حق

تريد أن تفهم هذه الأخوة فهمك هذا وتفرضها على ، انى أرى رأيا آخر وهو الاصلح •

ولهذا فانه من الصعب اليوم ان ينتصب زعيم فى اى بلد من البلاد العربية ويدعى ، من دون ان يثير الابتسام ، انه هو الممثل والرمز لهذه الأخوة وان نظرته هى التى من الواجب أن تشيع وتأخذ بألباب الناس ، إن ما اصاب مفهوم الوحدة التى كانت مجسمة لهذه الأخوة من انتكاسات سواء فى مصر او جربة وذيولها لا يسمح لاى عاقل ان يتمادى فى المناداة بهذا الشعار والا فانه يكتب لهذه الأخوة المشعور بها واقعا لا خيالا ان تبقى حلما وعاطفة مشبوبة لا يجسمها شىء •

وشبه المستحيل الثانى هو انه لا يتصور اليوم من بلد من البلدان العربية ان يضحي بمصالح أبنائه وبعزته ومنعته وقوته فى سبيل هذه الأخوة ، وهذا معقول بالنسبة لشعوب بدأت تشعر انه من حقها أن تستفيد من خيراتها قبل غيرها فمصر مثلا خاضت حروبا عديدة من أجل هذه الأخوة سمها عروبة أو ما شئت واستيقظت اليوم عن مآس اقتصادية واجتماعية خطيرة وقل مثل ذلك بالنسبة لبلدان عربية أخرى ، وليست أحداث لبنان الا تعبيرا فى الواقع عن هذه الحيرة لان اللحمة التى كانت تجمع بين الطوائف ولو كانت فى بعض الاحيان وهمية قد انهارت •

هذا هو المشكل اليوم بالنسبة للشعوب العربية وحكوماتها وهو التوفيق بين الوطنية التى حولت الوطن الصغير من مجرد موطن الى أمة يدافع عن كيانها ويذاد عن سيادتها ووحدتها وبين مفهوم الأخوة التى هى واقع ملموس وشعور موجود فى نفس كل عربى ومسلم •

ان ما يجب البحث عنه والتعمق فيه هو كيف تجسم هذه الأخوة من دون الرجوع الى المفاهيم الاخرى التى وان بقيت اصداؤها تتجاوب فى النفوس سواء بالانتصارات او الهزائم فان الزمان قد تجاوزها والعصر قد هصر فروعها ونفض اوراقها اليابسة وهى تنتظر من يحييها حتى تورق وتزهر من دون ان تدخل الضيم على الشعور الآخر الذى تفاقم واشتد وليس فى الامكان التضحية به ولا من المعقول الضرب به عرض الحائط والا فان الطلب يكون من باب المستحيل الذى لا تتجاوب معه الشعوب •

غير انه يجب ان نلاحظ ملاحظة لها أهميتها لكل الشعوب العربية بما فيها تونس انه لا يمكن ان تستقيم الوطنية التى تحدثت عنها ولا ان يكون لها فى النفوس ذلك الدفق الذى هو من صلب الايمان الا اذا حافظ على تلك الأخوة بصورة من الصور حتى فى ثوبها القديم والا فاننا سنشهد امرا خطيرا جدا لا يرضاه أى منا وهو التنكر للوطنية بنفسها اى التنكر للأمة والعمل من أجل ايديولوجيات اخرى هوائية هى العالمية أو غيرها من المفاهيم التى لا تستند الى واقع ولا الى شعور ٠

ذلك ان من مقومات الشخصية التونسية وغيرها من الشخصيات العربية الاخرى مقوم لا يمكن الاستهانة به او التفويت فيه هو الانتماء الى مجموعة أوسع من الوطن الصغيرة والأمة الصغيرة ونعنى مقوم الأخوة بين العرب والمسلمين الذى هو مفتاح لصرح الأخوة الانسانية ٠ فلا وطنية حقيقية بالنسبة الينا كعرب مسلمين اذن الا بوجود الأخوة العربية الاسلامية ولا أخوة انسانية حقا بالنسبة الينا الا بارتكازها على الوطنية بمعناها العصرى والأخوة العربية الاسلامية معا ٠

اما الذين يعتقدون انهم باعتناقهم لبعض المذاهب التى تفضى للعالمية والأخوة الانسانية من دون الشعور بالمفاهيم التى ذكرت فانهم فى الواقع يتعلقون بالهواء ويوهمون أنفسهم انهم وجدوا الحقيقة المثلى وسيبقون بعيدين عن واقع بلادهم وواقع الانسانية بصورة عامة ٠

غير انه بالنسبة الينا فاننا لا ندعى اننا وجدنا الحقيقة المثلى بل ان الذى نقوله هو اننا نتحدث عن واقع ملموس لا يمكن ان ينكره احد وانما غاية ما نقوم به هو ابراز ما بقى غامضا واستجلاء ما التبس فى الاذهان ٠

إذن فالوطنية بالنسبة للشعوب العربية الاسلامية أمر واقع لا يمكن الاستهانة به اذ أصبح بالمعنى العصرى مرتبطا بمفهوم الأمة وهو ما اضفاه عليه الكفاح التحريرى إذ كان وطنية بدون أمة فأصبحت هذه الأمة شاعرة بطابعها الخاص المتميز عن غيرها من الأمم العربية الاسلامية مستنكفة من ان يحكمها أجنبى ومتمسكة بسيادتها بواسطة دولة قائمة الاركان وقد بينا ان جميع التجارب التى مر بها العالم العربى الاسلامى والتى لم يقرأ فيها حساب لهذا الشعور او لهذا الواقع جرت كوارث ما زالت الشعوب العربية تئن تحت وطأتها ٠ لذا فان التوق الى الوحدة او الى القومية العربية لا يغير شيئا من هذا الشعور ولا يحد منه فهو موضوعيا ثابت قار قوى ٠

اما الشعور الثاني الذى خلصته من جميع الشعارات التى جرت له كوارث أيضا وهددت وجوده وهو ما سميته بالأخوة العربية الاسلامية وهو الشعور الموضوعى الثابت القار الذى أوجده قبل كل شيء الدين الاسلامى ورباه فى الجماهير وابرزه حقيقة واضحة المعالم واستغله الساسة والمفكرون عن حسن نية تارة وعن نوايا مبيتة للهيمنة والزعامة والوصاية تارة اخرى ، فهو مرة القومية العربية ومرة أخرى العروبة ومرة ثالثة الوحدة ، وقد قلت ان هذه الشعارات قد تجاوزها الزمن وجربتها الشعوب العربية الاسلامية وانها لم يعد لها ذلك الوقع الذى أيقظ فى نفوس الجماهير طيلة عقود أمل تجسيم هذه الأخوة ، والسبب فى ذلك هو ان هذه النظريات التى تحولت الى شعارات اصطدمت بالشعور الاول فى واقعيته وصلابته .

ولعله يمكن مجاراة جاك بارك وتوسيع مدلول ما قال عندما كتب « الانسان العربى الشمولى والذاتى ، العالمى والخصوصى » اذا فهمنا معنى الشمولى والعالمى على اساس الانتساب الى الامة العربية الاسلامية المفضية الى العالمية والذاتى والخصوصى على معنى الوطنية .

التوفيق بين الوطنية والأخوة العربية الاسلامية :

لهذا فان المشكل اليوم يتمثل فى : كيف يمكن تجسيم هذه الأخوة العربية الاسلامية من دون ادخال الضيم على الوطنية ومن دون الالتجاء الى ما ران على هذه الأخوة الحقيقية الواقعة من تعقيدات والتباسات وأوهام ، أو اذا اردنا كيف يمكن التوفيق بين الوطنية وهذه الأخوة نظريا وايديولوجيا وعمليا وسياسيا وثقافيا وحضاريا من دون أن نقع فى هذه الثنائية التى كانت مقبولة فى ماضى الحضارة العربية الاسلامية وأخرجها السلفيون للوجود فأوقعت بالشعوب العربية الاسلامية فى التباسات وغموض أدى الى التعثر والتلعثم فى مسيرة الأخوة العربية الاسلامية .

فمن الناحية النظرية ليس من الصعب استنباط صورة من الصور يتم بها التوفيق بين الوطنية والأخوة بحيث تجتنب كل حالة تلحق الضيم بأحد هذين المقومين إذ ان المصالح يمكن ان تصطدم فتفسد الأخوة لتتصلب الوطنية لان هذا المفهوم له كل المقومات لتمتينه وتقويته اذ هو ينمو فى اطار قانونى وسياسى واقتصادى واجتماعى مضبوط ، ولهذا فان كل المحاولات السابقة التى تمت لفرض الأخوة على الوطنية سواء قانونيا بالاتفاقيات التى لم تجد

المجال للتطبيق أو بالقوة مثل وحدة سوريا مع مصر أو مصر مع اليمن أو بالانقلاب ... فان هذه المحاولات لم تنجح أبدا ناهيك انه حتى بالنسبة لبعض البلدان التى تخضع مبدئيا لنفس الايديولوجيات فى الحكم وكان من الممكن ان تجد الأخوة مجالا لتفرض نفسها فانه وجدت اختلافات ايديولوجية بين النظامين . فهذا يغلب فى الواقع المستندات التى ترجع الى مفهوم الأخوة وهى عندهم القومية العربية أو النظرة الوحدوية وذلك يرجع المعطيات الوطنية فى واقع الامر ، وهى كلها اشكال لفرض النظرة الخاصة بالأخوة وكلمة حق أريد بها باطل وهى قولة على بن أبى طالب عندما خرج عليه القوم وأبوا التحكيم وقالوا : لا حكم إلا لله ، فرام هؤلاء جميعا باسم الأخوة وباسم الوحدة الهيمنة على الشعوب العربية الاخرى والوصاية على مفهوم الوحدة ، وهو كما قلنا ظرف انتهى أمره ولن يرجع أبدا .

ونفس النسق نجده فى بعض الدول التى تنادى بالاشتراكية وهى نوع من الأخوة على صعيد أعم وليس من الضير فى شىء ان تنادى دولة من الدول بالاشتراكية فى نطاق حدودها ولكن ان تعمد باسم النظام الاشتراكى أو الثورى الى سن سياسة توسعية وفرض هذا النظام على غيرها فذلك هو أيضا من قبيل كلمة الحق التى يراد بها باطل .

ان الذى نريد ان ننبه اليه هو ان لا تغتر الجماهير العربية بالشعارات التى من شأنها ان تتجاوب مع مشاعرها الحقيقية وهى فى الواقع تخدم نوايا سياسية لا ينجر عنها فى آخر الامر الا الخلف والفرقة وان ما نخشاه هو ان تنتج عن هذه المحاولات والتجارب التى يمر بها العالم العربى من حين الى آخر تصلب مفرط بالوطنية يؤدى الى انعدام التوفيق بين المقومين أى الوطنية والأخوة وهو أمر غير طبيعى لا من الناحية التاريخية ولا من حيث حتمية العلاقات بين الامم فى عالمنا المعاصر .

وأكثر من هذا فان ما حلم به بعض الساسة من بناء امبراطورية مقامة على هذا الشعور قد تجاوزته الاحداث اذ لن يتأتى ذلك الا بالقوة من جهة وبوجود جماهير عربية تطغى عليها البساطة فى تحليل المفاهيم الى الحد الذى تنساق فيه من دون وعى ولا شعور بمصالحها الحقيقية وهذا ما لا يمكن التحصيل عليه البتة والامثلة كما بينا عديدة .

بقى اذن التفكير نظريا اولا وبالذات فى التوفيق اذن بين الوطنية والأخوة العربية الاسلامية وعندما نقول نظريا فاننا نفترض ذلك اذ لسنا ندرى هل

يمكن فى التطبيق ان توجد الروابط التى من شأنها ألا تلحق الضيم بأحد المقومين • وكما قلت فان الواجب هو ان نحدد الاطار السياسى والاقتصادى والحضارى والثقافى الذى يمكن ان تندرج فيه الأخوة ولا يتضارب هذا الاطار فى ما ضبطته الوطنيات العربية وسارت عليه وكسبته اثناء تاريخها الطويل وخاصة عند احتكاكها بالعالم الاوروبى ووعيها لوزنها حضاريا واقتصاديا وسياسيا •

فلنبدأ بمحاولة التوفيق بين المقومين الوطنية والأخوة من الناحية الثقافية • فالثقافة كما حددها علماء الاجتماع هى : « الاسلوب الذى به نتصور الحياة وننظمها ونحياها والذى به نضفى على المجتمع وجهه الطريف أو بمعنى آخر شخصيته » وبديهى ان هذا التعريف تشترك فيه اغلب الشعوب العربية فهناك ارضية قارة اوجدتها حضارة واحدة وهى الحضارة العربية الاسلامية وهى التى وجدت عند انتشارها فى هذه البلدان اثناء الفتح ثقافات متغايرة تمام التغاير فصهرتها حتى قربت بعضها من البعض بعوامل عديدة دينية وسياسية واقتصادية • غير ان هذه الثقافات ابقت رغم ذلك على خصائص كثيرة نوعت بها الحضارة العربية الاسلامية واثرتها ثم هى احتكت بالحضارة الاوروبية وخاصة ببعض الثقافات الفرعية التى أعطتها دما جديدا وهى عند علماء الاجتماع تعد « ظاهرة تخلص » ولا يمكن ان « تتعدى بعض الحدود والا ينجر عنه انهيار النسق الثقافى الشامل » • وهكذا فان تغاير الثقافات فى البلدان العربية لا يضر بهذه الأخوة ولا يقف حجر عثرة فى مجال التوفيق بين الوطنية والأخوة العربية الاسلامية بشرط ان تبقى خاضعة الى بعض المقومات •

ذلك ان هذه الثقافات لها حسب علماء الاجتماع مستويات ثلاثة : النسق الروحى والنسق التقنى والنسق الابداعى ، فاذا كان النسق الروحى والنسق التقنى لا يمكن ان يضرا بالتكامل بين المقومين فان النسق الابداعى الذى من جملته الاعمال الفنية وخاصة اللغة يمكن ان يكون مدعاة الى الوقوف فى وجه هذا التكامل •

أوضح الفكرة ، ان الذى يجمع بين الثقافات العربية هى اللغة العربية فاذا نزل الضيم بهذه اللغة فى رقعة من البلاد العربية بحيث ان ابناءها فقدوا السيطرة عليها واستعاضوا عنها بلغة اخرى واصبحوا يخلقون فى هذه اللغة الاجنبية ويتكلمون بها فان الخطر هو ان هؤلاء سيجدون صعوبة فى التكامل مع باقى البلدان العربية ولست اعنى هنا المضرة التى يمكن ان تلحقها

الازدواجية بهذه الأخوة لان هذه الازدواجية اذا كانت حقيقية وحافظت على اللغة العربية مثلما هو الشأن بالنسبة لجيلنا فذلك لا يضر بهذه الأخوة وان هو أدخل عاهات تتعلق بالخلق والابتكار والابداع ولكنها اذا تحولت الى خانق للغة الأم أى العربية واصبحت هى لغة التعامل وصار الجيل الجديد لا يمكن له ان يفكر او يخلق او يرتاح الى نفسه والى غيره من الناس الا فى اللغة الاجنبية فان التوفيق عند ذلك يصعب بين الوطنية وهذه الأخوة اذ ان معرفة لغة ما ، كما حدد ذلك علماء الاجتماع : « ليس هو امتلاك أداة ابلاغ ضرورية للحياة اليومية فقط بل هو الدخول فى ثقافة ما والشروع فى فهمها » • ولهذا فان العجز عن امتلاك اللغة الأم يفقد شيئا فشيئا الشعور بهذه الاخوة التى هى منجاة العالم العربى أمام القوى العملاقة التى تتربص به والا بقيت الأمة التى ينتسب اليها هذا الجيل مثل تركيا تتلاقفها الرياح فلا الكتلة التى أرادت الانتساب اليها وهى أوروبا هضمتها وجعلتها طرفا تؤخذ مصالحه بعين الاعتبار ولا العالم العربى الاسلامى يعتمد عليها لانها رضيت بمحض ارادتها الانفصال عنه • وأكثر من ذلك فهل ان هذا الجيل الجديد الذى ينتسب الى بلد عربى سيضطر فى تعامله فنيا وتقنيا مع الأخوة الاشقاء الى استعمال اللغة الاجنبية والى البحث عن مترجم مثل صنوه الاوروبى •

ان الخطر اذن هو ان توجد اجيال من الشباب تعلمت وتكونت بصورة تجعلها تفقد الشعور بهذه الأخوة التى هى الرابطة التى بها تكون المنعة والقوة للوطنية ولهذا فان ما يجب ان نتيقظ له فى برامجنا التعليمية والتثقيفية والتكوينية هو الحرص على الحفاظ على هذه الأخوة وتنميتها وتعهدها لانها هى الباب للأخوة الانسانية بصفة عامة •

قد حاولنا ان نوفق ثقافيا بين الوطنية وهذه الأخوة وكشفنا عن الاخطار التى يمكن ان تلحق بالوطنية عند تنطع أخوة ما ومحاولة فرض هيمنتها على الوطنيات الاخرى كما نبهنا الى ما يمكن ان ينجر من اخطار على الوطنية نفسها اذا هى تحجرت وانكمشت على نفسها وقامت بما من شأنه ان يلحق الضيم بالاخوة ولا يقرأ حسابا لها •

ثم ركزنا تحليلنا من حيث الجانب الثقافى على الناحية الابداعية الخلاقة ولم نتحدث كثيرا على الخصائص الروحية من أفكار ومعتقدات وعادات وتقاليد وقيم وهى نفسها تتفاعل مع الوسط وما ينبع منه من تقنيات ولكنها كلها تبرز قيمة تعطى للثقافة وحدتها وطاقتها على التطور • غير ان هذا الجانب لا أريد

التعمق فيه لانه لا يفيدنا كثيرا من حيث التوفيق بين الأخوة والوطنية ولانه بديهي ٠

بعد هذا نتدرج شيئا ما في تحليلنا الى وجهة أشمل من الثقافة وهي الناحية الحضارية ٠ والحضارة هي كما نعلم « الثقافة عندما تفضي الى المستوى السياسي » ولا يعطى للثقافة وجهها الحضاري بالمعنى السوسيولوجي الا اذا كان لها أي الثقافة مظهران اثنان : وهو استعمال الكتابة والاتصاف بالظاهرة المدنية اي كل ما يتعلق بحياة المدنية ويبعدها عن الحياة القروية والبدوية ٠

والذي يهمنا هنا هو ان الحضارة العربية الاسلامية التي واجهت البلدان التي فتحها العرب المسلمون وجدت اما ثقافات فحسب فأضفت عليها الطابع الحضاري أو وجدت حضارات فتفاعلت معها وكيفتها وأخذت منها ما لا يتضارب معها أي بمعنى آخر ان هذه الحضارة العربية الاسلامية أعطت للثقافات والحضارات التي وجدتها كتابة وهي الكتابة العربية ونمطا من الحياة الحضرية ثرية معقدة فكانت نتيجة كل هذا روابط متداخلة هي تلك التي نسجت على مر الايام ما سميته الأخوة العربية الاسلامية ولهذا فان هذا المفهوم بالنسبة للبلدان العربية الاسلامية أشمل من ان يكون ثقافيا بحتا بل هو يحمل الطابع الحضاري أكثر من المفهوم الآخر وهو الوطنية وان لم يجز لنا ان ننفي عنها الصفة الحضارية ولكنها حافظت على الميزة الثقافية ٠

فلنأخذ مثالا من البلدان التي عرفت الاسلام مثل تونس اي افريقية سابقا فهي بلاد كانت لها حضارتها اي ان لها على الاقل في المدن وهي كثيرة جدا وكانت آنذاك منتشرة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، قلت كانت لها حضارتها أي لها ثقافة معينة بمستوياتها الثلاثة الروحية والتقنية والابداعية ولها أيضا كتابتها وهي اللاطينية وحياة المدينة الخاصة بها ٠ ماذا وقع عندما دخل الفاتحون العرب المسلمون ؟ انهم أبقوا على الثقافة الموجودة بما فيه اللغة وحتى الكتابة في أول الامر وغرسوا الكتابة العربية ونمطا من حياة المدينة مرتبطا بهم خاصة وان الافواج الاولى من الفاتحين هم من أهل المدن ، وتفاعلت هذه الحضارة مع بقايا الثقافة الموجودة التي هي من خاصية هذه البلاد فربت فيها نوعية لم تتضارب مع القاسم المشترك الذي هو الحضارة العربية الاسلامية وهذه النوعية هي بالذات خميرة الوطنية أو نواة لها ، ومن هنا يمكن القول أن الحضارة العربية الاسلامية ساعدت الوطنيات على البروز وأبقت على الأمم ولم تمسخها ولهذا

يحق ان نقول أن العالم العربى الاسلامى كان أمة فى أمم ، اى ان كل وطنية من الوطنيات التى سمت بدورها الى مفهوم الامة تحمل فى جنباتها تصورا واحدا ألا وهو الامة العربية الاسلامية وهذا هو الواقع الذى لم يتغير طيلة القرون سواء كان العالم الاسلامى خاضعا لدولة واحدة كما هو الشأن فى العهد الاموى وأول العهد العباسى أو لدول متعددة ولكنه رغم ذلك لم يخرج عن رمز الخلافة ، ولهذا لا مجال فى الواقع للحديث عن الوحدة السياسية خاصة وان تاريخ كل الفترة الاسلامية مشحون بالفتن والتناحر والانفصال بل الرأى يتجه الى هذه الصورة من التكامل غير المستقر بين الوطنية والأخوة اذ كان لا يخرج عن انه كما قلت أمة فى أمم ٠

ولقد فرضت هذه الحضارة العربية الاسلامية من الناحية السياسية « قيما معينة وأنماطا من السلوك مضبوطة وروابط اجتماعية مؤاتية » كيفت هذه الأخوة ونوعت ارتباطاتها مع الوطنية لتصل بنا الى الوضع الحالى الذى حللناه آنفا والذى اصبح العالم العربى الاسلامى لا يرضى فيه ان يصل به حال أمة فى أمم الى التفكك وانعدام الأخوة وطغيان الوطنيات الضيقة فى عالم يتوق الى التعاون والتكاتف والاشتراك فى المصالح قصد احلال الأخوة الانسانية ٠

ولهذا فان عهد الأمة فى أمم قد زال أى العهد الذى فرضت فيه الأخوة على الوطنية فكانت سلبا وايجابا وجاء عهد الامم فى أمة أى الفترة التى ستنشد فيها الوطنيات الأخوة وتبحث جاهدة عن نقط اللقاء وتتسارع الى التفاهم عن طواعية واختيار ٠ هذا ما سيصل اليه الوعى الجماهيرى فى العالم العربى ان عاجلا أو آجلا غير ان رواسب الوضع السابق أى وضع أمة فى أمم لن يزول تماما من الرقعة العربية وسيكون سببا فى كثير من الكوارث الاخرى سواء كان مأتاه تأخر الجماهير فى بعض البلدان العربية عن التطلع الى هذا العهد الجديد أو حلم بعض الانظمة فى الرجوع الى صورة من صور الخلافة القديمة أى وضع الأمة فى أمم وهو ما بينا بطلانه فى عصرنا الحاضر وفى مستقبل الايام لانه يتنافى مع تطور البلدان العربية الاسلامية ومع ما يسير اليه العالم العصرى حثيثا نحو الحضارة العالمية والكونية التى من شأنها ان تركز العلاقات بين الأمم كلها على الأخوة الانسانية ٠

هذا بطبيعة الحال حلم اذا أردنا ولكن لا نجاة للعالم الا اذا عزمت البشرية على تحقيق هذا الحلم شيئا فشيئا وكافحت من أجله وان الأخوة العربية

الاسلامية لطريق الى هذا وهى لا تتنافى فى مفهومها الحضارى ، البعيد عن العنصرية والعرقية ، مع الأخوة الانسانية ، غير ان هذه الأخوة لا يمكن ان تتحقق كفكرة ونظرية وسلوك عند الافراد الا اذا انطلقت من الواقع اى اذا راعت مصالح كل الاطراف وهى باطلة ان هى بقيت مجرد شعور وتوق وخيال وحلم يحلم به الفرد ثم يأتى الواقع ويكذبه بل يجب ان ينبع من هذا الواقع ومن حد لهذا الشعور وهذه النظرية حتى تتكامل مع غيرها ·

ذلك أننى أعتقد أنه لا مكان فى واقع الامور لمن يتشبث بالأخوة الانسانية وهو يؤمن بها أشد الايمان ويكرس جهده لقضايا العالم وهو ضنين على مجتمعه الصغير بأى تضحية وبأى جهد بل أننى أرى أن ذلك مجرد سراب وهروبا لا غير وتبريرا لعجز على التأثير فى الواقع والسيطرة عليه · كأب العائلة الذى يعجز عن توفير الوئام والسعادة بين أفراد عائلته ويحاول أن يدلى بنصائحه ويوجه عنايته الى عائلات غيره وهو فى ذلك غير موفق لا محالة ·

اذن فلا أخوة انسانية يمكن ان يمارسها العالم العربى اذا لم يوفق فى تنمية الأخوة العربية الاسلامية التى هى مقوم من مقومات وجوده وهذه لا يمكن تنميتها ايضا اذا هى لم تصل الى التوفيق بينها وبين الوطنيات · لهذا فان الأخوة العربية الاسلامية لا يتأتى لها أن تخدم الأخوة الانسانية الا عندما تنجح فى التوافق مع الوطنية · وقس ذلك على ما يقع فى البلدان الاخرى بالنسبة للعالم الاوروبى فبقدر ما تنجح مثلا الامم الاوروبية فى التعامل بصورة تكاملية بينها مراعاة لمصالح جميع الاطراف بدون هيمنة أو فرض وجهات النظر بقدر ما يكون ذلك بابا من أبواب التفاهم فى العالم الذى يفرض على هذه الامم التشاور مع غيرها من أمم العالم ، وفى هذا السياق يمكن ان نذكر الخطوات البطيئة التى بدأنا نراها فى ندوة الشمال والجنوب ولكن ··· ما يزال العالم يرزح تحت رواسب ليس من الصعب التخلص منها ·

هذه هى النواحى الثقافية والحضارية والسياسية فى سبيل التوفيق بين الوطنية والأخوة وهى كفيلة ، ان نمت أرضيتها وتغلغلت فى اذهان الجماهير مباديها واقتنع بها الساسة أن تطبق قانونيا وسياسيا واقتصاديا وليس ذلك بالعسير آنذاك ·

البشير بن سلامة

الصادقية *

شعر : جعفر ماجد

صدق الظنُّ ظنُّ خير الدين
رُبَّ ظن يكونُ مثل اليقينِ
قهر العلم ظلم جيش عتيد
وَعَلاَ بالبلاد والمسكين
اسألوا ربوة بأرض بلادي
كيف ألقتْ ضياءها في العيونِ
فاستفاقت حواضر وبواد
وهفا الجند صَوْبَ هذا العرين
كللتها براعم يا نعات
تنشر العطر في الفضاء الحزين
إنه الشعب جاهل وفقير
ويتيم ، ومُثْقَل بالسنين
نام حتى تأكَّلته الليالي
نسيته الحياة مثل الدفين
مُرْمَدٌ جفنه كليل صداه
سجنه الكون ، يا لذاك السجين
ضيعته جهالة من بنيه
هي أقسى من طعنة السكين
طامع جائع وباءٌ غريب
تركا فيه عمق جرح ثخين

(*) بمناسبة الذكرى المائوية لتأسيسها .

وعـدوّ عـلى الحـــدود فطيـــــن
لا يـرى في الظـلام ظـــل فطيـــــن
عــرف الدّاء فـي كيــان هـزيـــــل
غــده المـوت بعـد حيـن وحيـن
ثـم جـــاءت كتائبٌ مـن صغـــــار
كَسَّرت فـي الطريــق بعض الحصـــون
زحفـت مـن جُحُورهــا وقـراهـــا
وسبيـــل الوصــول غيــر أميــن
قلعــة العلــم حــاصرتهـا ذئـــاب
روّعتنــا بغـدرهـــا المشحـــون
كــم ضحايــا وراءهــم تركـوهـــا
قبـل أن يظفـروا بفتــح مبيـــن
إنـــه الشعــب جــاءهــم مــن بعيــد
تــاركـــا خلفـــه غبـــار القـــرون
إنـــه الشعــب فجـأة أيقظتـــه
شعلـــة حطمــت جــدار السكــون

* * *

يــا منـارا في كـل قلـب هـــداه
وعيــارا لكــل درّ ثميـــــــن
لـم تـزل لـي عليـك دمعـة حـــزن
أرهقتنـي وغيّـرت مـن شـؤونـــي (1)
غيــر أنّ الذيــن سَــدّوا طـريقــي
وأقـامـوا بـك الحـواجـز دونــي
رشـق الرمـح نحـرهـم بعـد لأي
وهـوى عـرشهـمّ ككومـــة طيـــن

---

(1) نجح الشاعر ، أيام الحماية ، فى مناظرة الدخول الى الصادقية ولكنه حرم من ذلك وكلفه هذا الحرمان أتعابا كثيرة فى حياته .

وقضى الله أن تكون مجالا
لصراع ضد الطغاة مكين
قد حميت الشباب من كل مسخ
ولهم كنت مثل أم حنون
عرفوا فيك طعم عيش جديد
شدّ ما بينهم كحبل متين
ألّفتهم صداقة وإخاء
ورعتهمْ عناية من معين
أُشربوا حبّ تونس منذ كانوا
فيك يستدفئون مثل الجنين
أنت علّمتهم حضارة شعب
أينعت في رباك كالياسمين
فرأوا وجههم بغير قناع
في مرايا بديعة التكوين
ساحة عشت للجهاد عليها
جرّب الحبّ كل قلب أمين
لم تضلّلهمُ دعاية زيغ
حين تدعى : «سياسة التمدين»
أوَلَمْ يخرجوا جموعا ليوم
طحنوا الخصم فيه مثل الطحين ؟
فدوى صوتهمْ كطلقة نار
وأقاموا لواءهم باليمين
كلّهمْ بالعذاب غير حَفيّ
كلهمْ بالدماء غير ضنين
وهبوا للجهاد عمْرا غضيضا
واستلذوا حياتهمْ في السجون

من رأى الطفل واقفاً في اعتداد
يرصد الغيب كالنبيّ الأمين
في تعابير وجهه وجه شعب
وهموم الحياة بين الغضون
هل درى عنه أنه عبقريّ
ألهمته السماء كشف الظنون
كم زعيم على ثراك تربّى
أنت ألقيت فيه نور اليقين
أنت يا أم كل فكر أصيل
وعدوّاً لكل فكر هجين
حين أرضعتهم هوى تونسيّا
ثم أطعمتهم شهيّ الفنون
صنت للضاد والعروبة شعباً
كاد يفنى بالغزو والتوطين

* * *

إن للصادقية اليوم عيداً
هو للحرّ غرة في الجبين
صغت من وحيه المقدس لحنا
لبلادي في عيدها العشرين
لست أخفي عقيدتي وغرامي:
إن حب الخضراء يا قوم ديني !

ج. م.

مع ابن هاني والقاضي النعمان

في موازنة بين التطرف والاعتدال في تصور الامام

بقلم احمد خالد

لمّا طلب منّي إخواني – منظّمو هذا الملتقى الأدبيّ العلميّ المخصّص للقاضي النّعمان المغربيّ ولحضارة الفواطم بإفريقيّة في إحدى عواصمهم المهديّة – أن أساهم فيه بدراسة ، ارتأيت أن يكون موضوعها موازنة بين تطرّف ابن هاني شاعر المعزّ لدين الله الفاطميّ واعتدال النّعمان قاضي قضاته في تصوّر الإمام ، اذ تذكّرت تباينا بينهما في ذلك التّصوّر رغم اعتناقهما نفس العقيدة الاسماعيليّة وانتمائهما الى بلاط واحد في عهد الخليفة الفاطمي الرّابع . وما كان ابن هاني والقاضي النّعمان تابعين عرضيين للمعزّ إذ حظي الأوّل عنده برتبة الشّاعر المفضّل فملأ الدّنيا وشغل النّاس في المغرب بمعزّيّاته كما فعل المتنبّي في المشرق بسيفيّاته ولازم الثّاني صحبة إمامه فسمّى كتابا له جمع فيه شيئا من أخبار المعزّ « المجالس والمسايرات » .

ومن غريب ما يلاحظ في الموازنة بين الدّورين اللّذين لعبهما كلّ من الشّاعر والفقيه الرّسميّيْن النّاطقين باسم البلاط في نشر الدّعوة الفاطميّة سواء بالقريض أو المقالة اختلافهما في مسألة عقائديّة أساسيّة أعني الإمامة أو الولاية حسب تسمية أخرى ، في حين أنّ الامامة تُعتبر ركيزة المذهب الإسماعيليّ وأولى عقائد الفواطم ، قبل الطّهارة والصّلاة والزّكاة والصّوم والجهاد . فالإمامة هي إذن مدار الخلاف بين الشّيعة عموما سواء كانوا أتباع فرقة واحدة أو أشياعا من فرق مختلفة .

ألا ترى فضلا عمّا علمت من تباين عقائديّ بين عَلَمَيْن منتميين إلى مذهب شيعيّ واحد أنّ الإسماعيليّة الذين تسمّوا باسم أحد أيمّتهم اسماعيل ، وانطلقوا في بناء مذهبهم من ظروف اختيارهم اياه اماما سابعا ، قد توافقوا مع فرقة الاثني عشريّة في تشيّعهم المتطرّف الى آل البيت ثمّ في سلسلة الأئمّة الى الامام السّادس وهم عليّ فالحسن فالحسين فعليّ زين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصّادق . إلاّ أنّهم افترقوا على قطيعة فصلتهم نهائيّا عن رفاقهم الأوائل الإثني عشريّة عقب وفاة الإمام إسماعيل فجأة في حياة والده جعفر الصّادق (148هـ / 765م) . وكان أبوه جعفر قد عيّنه إماما سابعا ليخلفه . فلمّا مات إسماعيل نقل الوالدُ خلافة الإمامة الى ابنه الآخر موسى الكاظم فبايعه فريق من الأشياع واعتبروه إمامهم السّابع وانتهوا في سلسلة أيمّتهم الى الإمام الثاني عشر محمد المهدي بن الإمام الحسن العسكري الذي اختفى فجأة يوم وفاة والده الشّاب سنة 260هـ . فهؤلاء هم الشّيعة الإثنا عشريّة او الإماميّة .

أمّا الاسماعيليّة ومنهم الفواطم ونصراؤهم كابن هانئ والقاضي النّعمان فإنّهم انحازوا الى اسماعيل المتوفّى في حياة والده واعتبروه إمامهم السّابع ونفوا خبر موته وزعموا أنّه تستّر وأنّه « القائم » بمعنى « المهديّ المنتظر » الذي يأتي في آخر الزّمان ليملأ الدّنيا صلاحا وعدلا كما ملئت من قبل فسادا وجورا .

وأقرّ فريق ثالث بموت إسماعيل إلاّ أنّه لم يعترف بإمامة موسى الكاظم كما أرادها جعفر الصّادق ، بل نقل الإمامة السّابعة من بعد هذا الإمام الى حفيده محمّد بن إسماعيل .

ويعرف أتباع ذلك الفريق بالمباركيّة واليهم ينتمي القرامطة الذين قاوموا الفاطميّين في الشّام وحاصروهم في القاهرة .

ويختلف الشّيعة الإماميّة الاثنا عشريّة والشّيعة السّبعيّة (الاسماعيليّة) في رجعة الامام ، فترى الفرقة الاولى أنّ الرّجعة لم تحدث مذ غيبة

الامام محمد المهدي بن الامام الحسن العسكري سنة 260هـ في حين ترى الفرقة الثّانية الاسماعيليّة انّ الائمّة من اسماعيل الى عبيد الله المهدي رأس الفواطم وهم ثلاثة : عبد الله واحمد والحسين – كانوا مستورين ، فلم يظهروا لضعف شوكتهم – وليس السّتر عند الاسماعيليّة بمعنى الغيبة عند الاثني عشريّة . فلمّا اتّسع نطاق الدّعوة الفاطميّة في المغرب بقدوم أبي عبد الله الشّيعيّ سنة 280هـ / 893م ، وتكاثر عدد المنضوين تحت لوائه خصوصا من قبيلة كتامة ، واستقرّ أمره برقّادة بعد أن قضى على ملك بني الأغلب سنة 296هـ / 909م ظهر عبيد الله المهديّ وتسلّم مقاليد الحكم بالقيروان وكان فيها أوّل خليفة فاطميّ .

وللاسماعيليّة غايتان إحداهما ظاهرة وهي التّوفيق بين الدّين والفلسفة كما قالوا في رسائل اخوان الصّفاء :

« انّ الشّريعة قد دنّست بالجهالات واختلطت بالضّلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الاّ بالفلسفة » وغايتهم الثّانية باطنة يشير اليها اخوان الصّفاء برموز تُوحي اليك بأنّهم كانوا يَطْمَحون الى إقامة نظام سياسيّ جديد كما يبيّنه قولهم : « تناهت قوّة أهل الشرّ وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزّمان وليس بعد التّناهي في الزّيادة الاّ الانحطاط والنّقصان .

واعلم أنّ الملك والدّولة ينتقلان في كلّ دهر وزمان ودور وقران من امّة الى امّة ومن أهل بيت الى اهل بيت ومن اهل بلد الى اهل بلد » .

وترتبط أولى عقائد الاسماعيليّة أعني الامامة بتمييزهم بين « الظّاهر » و« الباطن » . ويتّجه تفكيرهم الى انتظار تجلّ تامّ لباطن معاني التنزيل لا الى شريعة جديدة . ولا يحصل ذلك التجلّي في نظرهم الاّ بظهور الأيمّة المعصومين وبخروجهم من دور السّتر وهو عندهم الاختفاء الوقائي بدافع التّقيّة لأنّهم أخذوا بالسّيف . ولمّا تساءلوا : هل تنحصر حدود الدين في ظاهر الأحكام الشّرعيّة أم يعتبر ظاهرها غلافا لحقيقة مستورة ؟ أجابوا بأنّ لكلّ تنزيل تأويلا وزعموا أنّ

الشّريعة ليس لها معنى الاّ بإدراك حقيقتها الرّوحيّة وهي عندهم مرادف باطن معاني التنزيل وزعموا أيضا أنّ الأشياع لا يستطيعون بلوغها الاّ بواسطة الإمام المعتبر عندهم «قيّما للقرآن» «معلّما» يبلغ الى أشياعه المعاني الباطنيّة .

ومتى عدت الى ديوان ابن هاني تبيّنت فيه كثرة المفردات الدّالة على الكتمان . فهي إشارات الى علم الباطن «كالسّريرة» و«الحجاب» و«علم الغيوب» و«المبهم» و«الصّحيف المختّم» و«سرّ الله» و«سرّ الوحي» و«المصون» .

وفي عديد من القصائد يتغنّى ابن هاني في غلوّ كبير بنور الامام المعزّ لدين الله الفاطميّ الذي يعتبره الشّاعر كاشفا عن علم الباطن للأشياع كما في قوله :

«وعلمت من مكنون علم الله ما ... لم يؤت جبريلا وميكائيلا»
«لله فيك سريرة لو أعلنت ... أحيا بذكرك قاتل مقتولا»
«لو كان أعطى الخلق ما أوتيته ... لم يخلق التشبيه والتّمثيلا»
«لولا حجاب دون علمك حاجز ... وجدوا الى علم الغيوب سبيلا»

وعلى غرار الاسماعيليّة يميّز ابن هاني بين «علم الظّاهر» وهو ما يعلمه عامّة الناس و«علم الباطن» وهو للامام وخاصّة الأشياع . فاسمعه يقول عن الإمام المترجم والوسيط في مدح المعزّ :

«لكم جامع النطق المفرّق في الهوى ... فمن بين مشروح وآخر مبهم»
«وفي النّاس علم لا يظنّون غيره ... وذلك عنوان الصّحيف المختّم»
«اذا كانت الألباب يقصر شأوها ... فظلم لسرّ الله ان لم يكتّم»
«اذا كان تفريق اللّغات لعلّة ... فلا بدّ فيه من وسيط مترجم»

ويصل به الغلوّ في القول بالباطن الى حدّ اعتبار الباطن علم غيب يعلمه الامام كما في هذه الابيات التي تهجّم فيها على أعداء الفواطم ومدح بها المعزّ لدين الله :

« ماذا تُريدُ مِنَ الكِتاب نواصب	ولـه ظُهُـورٌ دونهـا وبُطـون »
« هي بغية أظْلَلتُموها فارجعوا	في آل ياسين ثَوَتْ ياسين »
« ردّوا عليهم حكمهم فعليهم	نزل البيان وفيهم التّبيين »
« البَيْتُ بَيْتُ الله وهو مُعَظَّم	والنّور نورُ الله وهو مُبِينُ »
« والسِّتْرُ سِتْرُ الغَيْبِ وهو مُعظمٌ	والسرّ سرّ الوَحْي وهو مصون »
« والنّور أنت وكلّ نور ظلمة	والفوق انت وكلّ فوق دون »
« لو كان رأيك شايعا في أمّة	عَلِمَتْ بما سَيَكون قبل يَكون »

ومن عادة ابن هاني في « معزّياته » أن يردّد الغلوّ العقائدي الدّال على صحّة ما نسبه اليه أهل السّنّة من ادّعاء الصّفات الإلهيّة للامام كالقدرة على المعجزات وعلم الغيب ، ثمّ عمّم هؤلاء على خصومهم الفواطم ما نسبوه الى ابن هاني . بيد انّ القاضي النّعمان المغربيّ — رغم إعظامه الإمام وقوله بالباطن — ما رضي بغلواء ابن هاني وأمثاله المتطرّفين ، فقد رفضه وبرّأ منه المذهب الإسماعيليّ الرّسميّ في العديد من المناسبات في كتابه « المجالس والمسايرات » (صورة المخطوط بجامعة القاهرة) وفي كتاب له آخر بعنوان « الهمّة في آداب اتباع الائمّة » (ط . دار الفكر العربيّ بالقاهرة بلا تاريخ — تحقيق محمد كامل حسين) .

فلعلّ تطرّف ابن هاني في ادّعائه الصّفات الإلهيّة للامام وفي نسبة علم الغيب اليه قد جرى مجرى التّجاوز والمبالغة الشّعريين . وسندي في هذا الافتراض أجده في رفض القاضي النّعمان ما اعتبره غلوّا وبدعا منسوبة خطأً أو عن قصد الى الاسماعيليّة كعلم الغيب .

والقاضي الفقيه النّعمان هو — دون شكّ — أدرى من ابن هاني الشّاعر بالعقيدة الرّسميّة اذ كان فيها صاحب القول الفصل طوال حكم اربعة خلفاء فاطميّين بإفريقيّة حتّى وفاته بمصر في سنة 363هـ / 974م بعيد انتقال المعزّ لدين الله اليها . فقد بدأ النعمان خطّة القضاء مع عبيد الله المهديّ (297-322هـ) ، ثمّ واصل مهمّته القضائية

مع القائم (322ـ334هـ) . ومن بعد ذلك الخليفة عيّنه المنصور (334ـ341هـ) قاضي قضاته وكتب له عهدا « بالقضاء بمدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن افريقية » حسب شهادة النعمان في كتابه « المجالس والمسايرات » (ج2 ص203) وظلّ يضطلع بتلك الخطّة القضائية العليا الى عهد المعزّ لدين الله (341ـ365هـ) فكان يلازم صحبته ويستجيب لرغباته المتكرّرة في تأليف الكتب المذهبية ويعدّ الفتيا ويلقي الدّروس على النّاس في علم اهل البيت ويخطب بالمساجد الجامعة في عواصم الفاطميّين بافريقية ويعيّن نوّابه في الأمصار ويسدي لهم النّصائح ويمدّهم بالمصنّفات في الفقه الإسماعيليّ ليستعينوا بها على القيام بمهامّهم فحقّ للمؤرخين والدّارسين اعتباره رائدا في تدوين الفقه الفاطميّ وحجّة وبرهانا في العلم بالمذهب الاسماعيليّ وصاحب عقل وإنصاف وفضل واستقامة .

وبناء على ما تقدّم من مناقب القاضي النّعمان — فضلا عن درايته الواسعة بالعقيدة الاسماعيلية وفقه الفواطم — فإنّي أرجّح أنّ الصّورة المعتدلة التي أبرزها عن الامام في مؤلفاته أشدّ لصوقا بالمعتقد الاسماعيليّ الرّسميّ في مستوى الدولة الفاطمية بإفريقية وأدلّ عليه وأثبت من تلك الصّورة المتطرّفة التي رسمها ابن هاني في معزّياته فعرّفنا فيها بالإمام كما يراه .

فرغم توافق القاضي النّعمان وغيره من الأشياع الفواطم في اعتبار الامامة قوام العقيدة إذ لا دين في نظرهم لمن لا يعتقد إمامة الأئمّة المنصوص عليهم من أهل البيت ، فانه ما استسهل غلواء ابن هاني وأشباهه من الأشياع الذين نسبوا الى الائمّة الفاطميّين صفات لا يقرّها أهل السنّة الاّ للباري تعالى كعلم الغيب ، فكانت الصّورة التي قدّمها القاضي النّعمان عن مرتبة الامامة معتدلة بالنسبة الى ما ادّعاه الغلاة ، ففرّق بين مرتبة النبوّة ومرتبة الامامة ، واعتبر الاولى أفضل من الثانية كما في العينة التالية من كتابه « الهمّة في آداب أتباع الائمّة » — وهو كتاب في العقيدة الاسماعيلية وفي آداب السّلوك

مع الملوك – : « ان كانت درجة النبوّة اعلى واجلّ وفوق درجة الامامة وفضل الانبياء أعظم من فضل الأئمّة فانّ الطّاعة موصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته وهو أعلى وأجلّ من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عباده » (ص39) .

واذ كان السّجود للامام عادة عند الاشياع اذا رأوه فإنّ القاضي النّعمان اعتبر السّجودَ في كتاب « الهمّة » احتراما وإعظاما للامام عن تقبيل اليد بتقبيل الأرض لا سُجُودا من دون الله (ص105) .

ومثل ذلك التصوّر المعتدل لدرجة الإمامة تجده عند الخليفة الفاطميّ الرّابع المعزّ لدين الله .

فرغم اعتباره مَنْصبَ الإمامة فَرْضا إلاهيّا وواجبا وحقّا على غرار ما اعتقده سائرُ الأشْياع فإنّه – على عَظَمَته وسَعَة مُلْكه – ما ارتاح لما قيل فيه من الغُلُوّ كنسْبَة علْمَ الغَيْب إليه فَنَهَى عن التّطرّف العقائديّ كما بيّنه قاضي قضاته النّعمان في خبر من كتابه « المجالس والمسايرات » أسوقه على سبيل المثال لا الحصر : قال المعزّ : « ينتهي إلينا أخبارٌ عن بعض مَن يزْعم أنّه يتولاّنا وبعض مَنْ يدّعي أنّهُ يدْعُو إلينا من الغلوّ فينا ونحن نبرأ إلى الله من كَذبهم علينا وتقوّلهم فينا ونحنُ عبادٌ من عباد الله مخلوقون مَرْبوبُونَ لا علم لنا إلاّ ما علّمنا وصار الينا عن نبيّه جدّنا مُحمّد صلى الله عليه وسلّم ممّا أودعَه اللهُ إياه وأورثنا ممّن بعده وأودعناه لا نُحيط من علمه إلاّ بما شاء ولا من غيبه الاّ ما أطلع عليه منّا من ارتضاه كيف احبّ وشاء .

لا ندّعي النبوّة والرّسالة بل نحن المُسْتَحْفَظون على الإمامة . حلالُنا من كتاب الله وحرامنا منه وطاعتُنا مَفْروضة على عباده بحكْمته مَنْ عرَفَنا فقد عرَفَ اللهَ ومن جَهلَنا فقد جهله . نحنَ الدّالونَ بحكمه عليه والقائمون بأمْره على عباده . نحن دون ما يقول الغالون وفوق ما يظنّ الجاهلون ، إنّما أراد مَنْ نَحلَنَا علْمَ الغَيْب وَنَسَبَ

إلينا تنزّل الوحي ممّن يدعو بزعمه إلينا أن يجعل ذلك مقدّمة لنفاقه علينا . فإذا أراد ذلك قال لمن دعاه : لم أدْعُكُمْ إلاّ لمن وصفت لكم فيه ما وصفت فيصدّهم بذلك عنّا لَعَنَ اللهُ الصّادّين عنّا فإنّهم عَنِ اللهِ يَصُدُّون » .

وتفهم من تلك العينة للقاضي النّعمان انّ المُعزّ لدين الله الفاطمي اعتبر الغُلوّ في إعظام الإمام مِنْ قِبَلِ الأتباع والحاشية وربّما مِنْ قِبَلِ خصوم الفواطم تملّقا ونفاقا مضرّيْن بالسّلطان . لكنّ صريح اعتدال المعز في الخبر السّابق وفي عديد من الأخبار الأخرى لم يصرف بعض المؤرخين السّنيّين عن نِسْبَةِ رَصْد الكواكب إليه لمعرفة الغيب كما أخبر به ابن تغري بردي في كتابه « النجوم الزّاهرة » (ط . القاهرة ج4) .

وما من شكّ في انّ اولئك المؤرخين أطلقوا أحكاما قاسية على خصومهم في المعتقد إذْ تُبْطِلُ كُتُبُ الدّعوة الفاطميّة الرّسميّة للقاضي النّعمان — وهو من أدرى الأشياع بالمذهب الاسماعيليّ الرّسميّ — كثيرا ممّا زعموا . ودونك — لمزيد التّيقّن من اعتداله — عيّنة أخرى من كتابه « الهمّة في آداب أتباع الأئمّة » يَدْحَضُ بها ما ينسبه الغلاة الى أيمّة الفواطم من علم الغيب : « لا نقول ما قاله الغُلاة الضّالون المُبْطلون الصّادّون عن أوْلياء الله الدّافعون إمامتهم الزّاعمون أنّهم يعلمون غيب الله وما تُخْفي صدورُ عباده ، تعالى الذى تفرّد بعلم ذلك دون خلْقه ولم يُطْلِعْ على ما شاء منه إلاّ مَن ارْتَضَى مِنْ رُسُلِه ... وانّما أرادَ هؤلاء الفَسَقَةُ بما نَسَبوه الى الأئمّة صلواتُ الله عليهم من ذلك دَفْعَ إمامتهم » (ص53) .

والعجب كلّ العجب أنْ يُجيز المعزّ بعد تَبَرّئه ممّنْ ينسب اليه علم الغيب ما يقوله فيه شاعره الرّسميّ ابن هانئ من الغلوّ مجاراة للغُلاة الآخرين الذين دانوا بتلاشي الأرواح وبحلول الله في الإمام كما زعم شاعر إفريقيّ مدح عبيد الله المهديّ حينما دخل حاضرة الأغالبة بهذين البيتين :

« حلّ برقّادةَ المَسيحُ حَلّ بها آدمُ ونــــوح »
« حلّ بها اللهُ ذو المعــالي وكلّ شيءٍ سواه ريح »

وحاكاه ابن هاني في نفس المعنى عندما مدح المعزّ بهذا المطلع :

« ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدار فاحكُمْ فأنت الواحد القهّار »

ومثل ذلك التطرّف العقائديّ ممّا لا يحصى كثرة في ديوان ابن هاني . فمنه قوله في المعزّ :

« هو علّة الدنيا ومن خُلِقَتْ له ولعلّةٍ ما ، كانت الأشْياءُ »
« ولك الجوارى المُنشآتُ مَوَاخِرا تَجْرِي بأمرِكَ والرّياح رُخَاءُ »
« فعنتْ لك الأبصارُ وانقادتْ لك الأقدار واستحيت لك الأنواءُ »
« لا تسألنّ عن الزّمان فإنّه في راحتيْك يدور حيث تشاء »

وقوله :

« فقد شهدتُ له بالمُعجزات كما شهدتُ لله بالتّوْحيد والأزل »

ومن مخلّفات غلوّ الفئة المتطرّفة في فرقة الاسماعيليّة ما جهرَ به حمزة بن عليّ مؤسّس المذهب الدّرزي من تأليه لسادس خلفاء الفواطم الحاكم (386ـ411هـ / 996ـ1021م) .

بيد انّ الدعوة الفاطميّة الرّسمية قاومت البدعة الدّرزية التي جوّزها الحاكم فطاردت حمزة بن عليّ خصوصا بعد موت الخليفة الفاطميّ السّادس وضايقته حتّى فرّ من القاهرة الى جبال الشّام حيث اعتصم مع أشياعه .

وليس بخاف عن الباحث انّ الخلاف المذهبيّ داخل صفوف الاسماعيليّة في عهد الخليفة الفاطميّ الرابع المعزّ لدين الله وفي حياة القاضي النّعمان كان من البوادر الاولى لانشطار فرقة الاسماعيلية وانقسام اشياعها الى غلاة كابن هاني ومعتدلين كالقاضي النّعمان .

وقد حدثت القطيعة النهائية بين الجماعتين بعيد وفاة الخليفة الفاطمي الثامن المستنصر بالله (وفاته كانت في سنة 487هـ / 1094م) فساندت الجماعة الاولى – وهي من الفرس – إمامة نزار بن المستنصر وشهرت قديما باسم الحشيشية . وقد اعتصم هؤلاء بقلعة ألموت في الجبال الواقعة جنوب غربي بحر القزوين وغالوا في اعتبار الامامة أعلى درجة من النبوة وزعموا ان الامام آدمي إلاهي بناسوته ولاهوته – وادعوا ان جسمه غلاف ريحي مثل الكافور في صفائه وخفته وانه ليس من لحم ودم . وأحفاد هؤلاء اليوم في الهند هم الخوجات المعترفون بزعامة آغا خان .

أما الجماعة الثانية المعتدلة فهي تمثل شق المغاربة الذين استقروا في مصر واليمن وتمسكوا بالعقيدة الاسماعيلية الرسمية واعترفوا بعد المستنصر بامامة ابنه الثاني المستعلي . وسلالة هؤلاء اليوم في الهند هم البوهرة : (BOHRAS)

أدركت الآن من العرض التاريخي الموجز لنشأة الاسماعيلية وتطور مذهبها وانقسام أشياعها الى معتدلين وغلاة – إذا قسنا معتقدهم جميعا بمقياس نسبي ولم نسلط عليهم معيار الحكم السني مع الفارق المذهبي – ان الشق المعتدل في الفرقة الاسماعيلية مغربي افريقي .

وعلة اعتدال اولئك المغاربة تأثرهم اللاشعوري بمخلفات مذهب آبائهم وأجدادهم أعني السنة المالكية مهما بعدوا عنهم في الزمن والمعتقد .

والرأي عندي ان البيئة المغربية هي التي فرضت على المعز لدين الله وأشياعه اعتدالهم في عقيدة الإمامة كما أثرت النشأة الأولى المالكية للقاضي النعمان في تصوره مرتبة الامامة فجعلته اسماعيليا معتدلا .

وقد أفادنا المؤرخون واصحاب التراجم كابن خلكان في «وفيات الاعيان» (ط . مصر 1949ج 5 ص48) ان النعمان «كان

مالكيّ المذهب ثمّ انتقل الى مذهب الامامية » . وما قصدوا باشارتهم الى تحوّله المذهبي سوء ظنّ به واتّهاما له بالملق فقد أفاضوا في تعداد خصاله العلمية والأخلاقيّة فمجّدوا في شخصه العالم المنصف والفقيه الورع .

بيد أنّا اذا اخذنا بعين الاعتبار ما يحيط بالفرقة الاسماعيليّة السّريّة من الكتمان والغموض رغم ظهور العديد من كتبها المذهبيّة في عصرنا الحاضر فمن حقّنا ان لا نستبعد تعليل امتناع المعزّ وممثّلي الدّعوة الفاطميّة الرسميّة عن الجهر بمبادىء عقائديّة متطرّفة برغبتهم في اجتناب إغضاب الرّعايا المغاربة المتمسّكين كلّ التمسّك بالسنّة وعقيدة السّلف الصّالح ليضمنوا ولاءهم لدولة الفواطم اذ يعلم الأشياع خطورة بدعة علم الغيب وهي بدعة ينسبها إليهم أعداؤهم لمقاومتهم في بيئة سنّية ترفض البدع وتعتبرها زيغا عن الدين كما يفهم من الخبريْن المنتخبين من كتاب « المجالس والمسايرات » ومن كتاب « الهمّة في آداب أتباع الأئمّة » للقاضي النّعمان . فلم يكن المعزّ وممثّلو الدّعوة الاسماعيلية الرّسميّة أغرارا ليظهروا بتلك البدعة ويشهروها بين الجماهير المالكيّة التي كانت تنتظر الفرصة لتُواثبهم وتطيح بملكهم في إفريقيّة فلمّا سنحت لها في عهد الأمير الزّيريّ المعزّ ابن باديس سنة 407هـ / 1016م أقامت المجازر لأشياع الفواطم في القيروان والمنصوريّة والمهديّة وسوسة وتونس وفي سائر مدن إفريقيّة ، فصنع ابن زنجي الكاتب في تلك المناسبة قصيدته المشهورة ومنها قوله :

« سقى الغيظَ في طي الضّمير المكتم | دماءُ كلاب حُلِّلت في المحرّم »
« غزوْنا أعادي الدّين لا الرّمحُ ينثني | نبوّا ولا حدّ الحسام المصمّم »
« فلانفق في الأرض أخفى مكانكم | ولا شاهق يرْقى اليه بسلّم »
« لقد رفضتكم كلّ أرض وبقعة | وقد صرخت منكم بقاع جهنّم »

وأفَل نجم الاسماعيليّة بالمغرب بعد تلك المجازر فلا معتدل في عقدته ولا متطرّف جهر بما عنده وسط الجماهير فتشرّد الأشياع

في أقاصي البلاد ثمّ انقطع أثرهم من افريقيّة مع الايّام وغيظ الفواطم المقيمون بمصر من تطاول بني زيري ورعاياهم المغاربة عليهم اذ أبطلوا الدّعاء لهم بالمساجد فثارت ثائرة الخليفة المستنصر (427ـ487هـ ، 1035ـ1094م) ووزيره الحسن اليازوري فأطلقا جحافل أعراب الصّعيد المصريّ من قبائل زغبة ورياح على إفريقية بعد ان أغرياهم بغنائمها ووعداهم بالمدد والعدد فعاثوا فيها فسادا وخرّبوا حاضرتها القيروان فبكاها مُرّا شعراؤها كابن رشيق (390ـ463هـ) وابن شرف معاصره وعلي الحصري (420ـ488هـ) .

وباشتداد بغض أهل البلاد للفواطم انقرض الاسماعيليّة فلم تبق الاّ بعض آثارهم الأدبية والعمرانية الدّالة على إقامتهم القديمة بافريقيّة في ديوان ابن هاني وفي مؤلفات القاضي النّعمان وفي سيرة الأستاذ جؤذر وفي غيرها من الآثار المكتوبة وكذلك في تحفهم المعروضة في معهد الفنون الاثريّة بدار حسين في العاصمة وفي المتحف القومي بباردو وفي متحف رباط المنستير ومتحف القيروان وفي ما تبقى من بنيانهم بالمهدية (*) .

أ ٠ خ ٠

سوسة 13 / 8 / 1975

أهم المراجع

(1) ديوان ابن هاني بعنوان « تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانى » تحقيق وشرح وتقديم دكتور زاهد علي ط٠ القاهرة 1933

(2) القاضي النعمان « كتاب افتتاح الدعوة » تحقيق وتعليق فرحات الدشراوي ـ ط الشركة التونسية للتوزيع 1969 ٠

(*) ألقي هذا البحث في ملتقى القاضي النعمان بالمهدية (أوت 1975) ٠

ـ نفس الكتاب بعنوان « رسالة افتتاح الدعوة » تحقيق وداد القاضي ـ بيروت : دار الثقافة 1970

(3) القاضي النعمان « كتاب الهمة فى آداب اتباع الائمة » ط· دار الفكر العربى · مصر بلا تاريخ ـ تحقيق محمد كامل حسين ·

(4) القاضي النعمان « المجالس والمسايرات » 3 أجزاء ·
صورة من المخطوط بجامعة القاهرة ·

(5) « سيرة الاستاذ جوذر » تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة ـ ط دار الفكر العربى بالقاهرة

(6) ابن خلكان « وفيات الاعيان » تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد · ط القاهرة 1948 ·

(7) المقريزى (تقى الدين احمد بن على) « اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء » تحقيق الدكتور جمال الدين النيال · ط القاهرة 1948 ·

(8) ابن الاثير « الكامل فى التاريخ » ط· دار صادر ببيروت 1965 ·

(9) ابن خلدون « العبر وديوان المبتدأ والخبر » (الاجزاء 3 ـ 4 ـ 6) ط· بولاق 1284هـ

(10) ابن خلدون « المقدمة » · ط· دار إحياء التراث العربى ـ بيروت
ابن تغرى بردى « النجم الزاهرة » ط القاهرة ج 4

(11) « رسائل اخوان الصفاء » ·

(12) المعرى « رسالة الغفران » تحقيق عائشة بنت الشاطىء ط· القاهرة · 1963

(13) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف « المعز لدين الله » ط · القاهرة · 1964

(14) محمد كامل حسين « تاريخ الدولة الفاطمية » ط · القاهرة 1958 ·

(15) حسن حسنى عبد الوهاب « ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية » ج 1 · ط مكتبة المنار تونس 1965

(16) محمد عبد العزيز مرزوق « الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس » ط · دار الثقافة بيروت بلا تاريخ ·

17) Encyclopédie de l'Islam (nouvelle édition) article : Isma'iliyya par W. Madelung.

18) «Vie de l'Ustadh Jaudhar» écrite par Monsour le Secrétaire, traduite de l'arabe par Marius canard. Alger, 1958.

19) Henry Corbin «Histoire de la philosophie islamique des origines jusqu'à la mort d'Averroës (1198) T.I Ed. Gallimard, 1964
Etc...

استمع عندما يتحدث العشاق

شعر : محيي الدين خريف

أفردَ الحبّ ألفَ جَناحٍ وطارْ
رفّ سِحْرا بعينَيْك أبْدعَ ألْوَانَهُ . ثُمّ صَارَ هَــزَارْ
وتغنّى ولَيْلُكِ راعٍ يعدّ النجُومَ ويَعزِفُ فِي نَايِــهِ
يشْربُ الدّهْـرَ ضَــوْءَ النّهَــارْ
فأعِيريهِ سَمْعَكِ إمّا تَنَـهّدْ
وآسبلِي شعْـرَكِ الجَثْلَ كَـيْ يتـوَسّـدْ
اعشقِي إنّ مثلَكِ يحرِقُهُ العشْقُ يُضمِرُهُ ويَعُــودْ
إلىَ عَـالَمِ النّاسِ وهو جَدِيدْ
اعْشقِي واحْمِلِي الحبّ مِثْلِي
وتَـرا وربَابا ولَحْنا فَـرِيــدْ
أنت عيدُ السّهُولِ وحُلمُ النّـوَارِجِ
والبيتُ والطّفْـلُ والعَافِيَـهْ
أنتِ تُونِسُ أحملُهَا في دَمِـي
فِي عُيُونِي وفِي الغُرْبَةِ النّائِيَـهْ
تتـوَالَى الليَالِي فلاَ الرّجْلُ تَأْبَى عن السّـيْرِ
لا الصّوْتُ بُحّ ولاَ الراقِصُـونَ استَرَاحُوا
لهُمُ اللهُ كَمْ مِنْ دَمٍ فِي عُـروقِي استَبَاحُـوا
ذوّبِينِي نُضَارا وشِعِي على أُفُقِي صَلَوَاتْ

أنَا أعبُدُ فيكَ العيونَ التِي ضيَّعَتْ سرّهَا في خضَمّ الحيَاةْ
أنَا أعبُدُ هـذَا الفَضَاءَ الرّحِيبْ
وهَـذي المَلايِينَ تَطْلَعُ مِنْ سُدَفِ الظُّلُمَاتْ
أنَا أعبُدُ فيكِ الرّحيلَ إلى مُـدُنِ السّنْدبَادْ
ومَادُونَهَا مِنْ بِحَارْ
لا تقولِي تركتَ الدّيَارْ
فلأجْلكِ سافرْتُ ، سافرتُ ، غامرتُ فِي اللاّقَرَارْ
وكتبتُ عَلى جُدرَانكِ :
منكِ الفرارُ أيَا ضَلّتِي وإليْكِ الفِـرَارْ
أخبرينِي فتلويحتِي للرّيَاحِ تقرّبُ بُعدَ المَسَافَـهْ
ولو كنتُ فِي الجسرِ أسكنُ شطّتْ عَلَى الرّصَافَـهْ
وغِنَائِي تسلّـلَ عبرَ الدّرُوبْ
وعَـرّفَ كلّ الصّغارِ بصوتِي
وتجاوبَ فِي كلّ بَيْتْ
محزنٌ والمخاوفُ ليليّةٌ . والنّـدَا يتساقطُ دمعا علىَ شجَرِ الوَرْدِ
وهيِ التِي تستَعِدّ لتَحْضُنَ بعدِي الرّبِيـعْ
فأعيرِي لِمنْ يحملُ العشْقَ فِي قلبِه أذُنا صَاغِيـهْ
وتعالِيْ فقدْ يولَـدُ الحبّ عبرَ ليَالِي الصّقِيعْ .

76-1-2

م-خ

حول تفهم الشعر حديثا

بقلم : إبراهيم العريض

(البحرين)



الأستاذ إبراهيم العريض ـ أديب البحرين المعروف ـ كان ضيفا على تونس في أيام الاحتفال بالذكرى العشرين لاعلان الاستقلال. حضر موفدا من حكومة البحرين لشهود هذه المناسبة . وقد سعدنا بلقاء الأستاذ العريض ـ إذ هو من أصدقاء مجلة الفكر القدامى ـ كما تسلمنا منه ممتنين هذا الحديث عن الشعر ، ونسخة من كتابه القيم : « نظرات جديدة في الفن الشعري » الذي صدر عن مطابع الكويت في 578 صفحة .

* * *

أولا : الشعر والجمهور

يتحاشى السواد الاعظم من الناس النظر في الشعر وكل ما له مساس بالشعر ، تحاشيهم الغوص في البحار .. طلبا للآلىء . فاذا التفتوا راضين ـ مرة ـ الى آثار هذا الفن ، كان التفاتهم الى جمال الصياغة ، دون التفاتهم الى جمال التعبير . والبون بينهما شاسع . فالصياغة لا تستلزم معنى الحياة ، بينما التعبير لا يكون الا عنها .

ثانيا : دراسة التطور في الشعر

فاذا حاولنا أن نفهم ما يتيح للشعر معنى الايصال ، فان ذلك لا يمكن الا عن دراسة تطوره عبر العصور . وهذا يكون من عدة وجوه :

أ) من الوجهة التاريخية : فندرس ما كان عليه حال الشعر في مستهل هذا القرن مثلا ، وكيف أخذ يتطور في شكل صياغته وأسلوب تعبيره ، حتى انتهى أمره في أعقاب مأساة فلسطين عام 1948 .. متدرجا .. الى حالته الراهنة من التدفق الحر والشعبية والانطلاق من كل قيد ، تحت تأثير النماذج الاجنبية .

ب) من الوجهة الجمالية : فندرس الشعر كفن ، اذ الشعر من الفنون الجميلة ، ولعله أوسع هذه الفنون مجالا · وقد كان فن العرب الاوحد يجدون فيه منفسا لشعورهم الجمالي ·

ج) من الوجهة المكانية : فندرس على ضوء الاحداث التى تمر بفئة من الناس ، فى بقعة بعينها ، ما يجعل للشعر الذى يصدر عنهم صبغة خاصة يتميز بها على ما يصدر عن سواهم من الناس · فتطور هذه الاحداث لا بد ملاق له ظلا مماثلا فى الشعر الذى يرافق الاحداث · كالشعر الصادر عن اللاجئين مثلا ·

د) من وجهة ذوات الشعراء : فندرس الشاعر إنسانا ، لأن الشعر على إطلاق الكلمة لا وجود له ، وإنما الذين يوجدون ويموتون هم الشعراء · وممكن إذن متابعة ما يظهر للتطور من أثر فى انتاج الشاعر نفسه ·· بين يومه وأمسه ·

ه) من وجهة مواضيع الشعر : فندرس فيها غير معنى الالتزام ، فان الموضوع الواحد يتناوله أكثر من شاعر فيظهر فى معالجتهم جميعا للموضوع بين زمان وآخر ، كيف تختلف بهم السبل فى ضوء تطور الاحداث ·

و) من الوجهة الغائية أو الانسانية : فندرس المعنى الكامن فى الشعر نفسه ، فان وراء أغراض الشعر القريبة من حماس وفخر أو مدح ورثاء أو غزل ونسيب ــ حسبما نفهم من أبوابها عندنا ــ غاية أبعد ، هى :

① الوعى بالواجب الاجتماعى ، ② التفتح لجمال الحياة · وفى كلتيهما نوع من الالتزام ·· فى الاولى نحو المجتمع وفى الثانية نحو الذات · والشعر (مذ كان) ــ تراوح بين المجتمع والذات ·

ز) من الوجهة الصياغية أو الشكلية : وهى أسهل الوجهات تناولا وأيسرها عرضة للتحليل ، لانها أقربها من مفاهيم الجماهير لادراك معنى التطور ، وان كانت أقلها دلالة عليه بالمعنى الصحيح ·

ثالثا : نظرة النقاد الى الشعر

ومجالها تغير الاذواق · فقد كان يقال أمس : كل ما لم يكن شعرا فهو لترسله نثر على الاطلاق · أما اليوم فالنقاد يقولون : كل ما لم يكن نثرا فهو لغموضه شعر على التأكيد · ومن هنا هذه المذاهب المتعددة فى تأويل وتحديد مفهوم الشعر الحديث ·

إ· ع·

أوهـــام

(كل شى باطل وقبض الريح)
سليمـان الحكيـم

شعر : حسن كامل الصيرفي

الحُـلْـمُ والـوَهْـمُ عَـذَّبَاكْ ... يا هائماً في سُرَى رُؤَاكْ
أمامـك الكـأس ، لا شـرابٌ ... يَبُـلُّ في جُـرْعـةٍ صَـدَاكْ
انظُـرْ إليها ! فـهـل تراهـا ... إلاَّ فَـرَاغـاً ، ومـا أَرَاكْ
إلاَّ خيَـالاً وراءَ وَهْـم ... تَسْعَى ، ولا ينتهَـى مَـدَاكْ
انظُـرْ إليـهـا وأنـت صـادٍ ... لَنْ يَبْلُغَ الـرِّيَّ نـاظِـرَاكْ
هل صَبَّ ساقيك غيرَ سِحرٍ ... يَسْخَرُ بالقلب مَنْ سَقَـاكْ
الكأسُ وَهْم ، والخمر وَهْـم ، ... والحَـانُ - ياصاحبي - كذاكْ
والحلم وَهْم ، والـوَهْـمُ حُـلْـم ، ... والحُلْمُ والوَهْـمُ ضلَّـلاكْ
قـد مَرَّ ليـل ، ومَـرَّ فَجْـرٌ ، ... والدِّيكُ والصُّبْحُ أَيْقَظَاكْ
وأنت تَرْنُو ! وكـلُّ شـيءٍ ... أَمامك الآن مِـنْ رُؤَاكْ ...

مصر الجديدة - القاهرة

العقل والجسم

الاصول الاساسية المنعكسة عن مرآة المرض

بقلم : الدكتور سليم عمار

الاستاذ المبرز بكلية الطب

1) معنى الامراض النفسية الحديث

أصبح علم الامراض النفسية اليوم فرعا هاما من العلوم الطبية يكاد يستلزم من طالبه أوسع ثقافة عامة لا في حقل الطب العامّ فحسب بل في حقل العلوم الاجتماعية والانسانية جمعاء ، حيث أن مكان ارتكازه في مفترق كل هذه العلوم · فكثيرا ما نجد مثلا بصفة جلية واضحة اصابات عضوية جسمانية ملموسة تتسبب في اضطرابات عصبية عديدة ، وحتى في انحرافات نفسانيةمماثلة·كما اننا نعلم منقديمالزمان ــ والعلم الحديث أكد ذلك اليوم ــ أن العوامل النفسانية البحتة ــ على مختلف انعكاساتها في مستوى الفرد والبيئة والمجتمع ــ كانت ولا تزال من الاسباب الرئيسية التي ينجم عنها العديد من الاضطرابات العقلية المختلفة الانواع والمظاهر والتطورات · لذا اصبح علم الامراض النفسية يبحث عن مظاهر الاضطرابات التي تزداد كل يوم حدة وتشعبا بعدما اصبحت الحياة معقدة جدا في عصرنا هذا الذي ما انفك يخوض الانسان فيه صراعا مستميتا لتحقيق رغباته الوجدانية · وان كل هذه العوامل قد ازدادت خطورة مع تطور المجتمعات وارتفاع مستواها ، وبالخصوص مع تفكك أصول العائلة القديمة وتعدد الأزمات النفسية الناجمة عن صعوبة الانسجام في الاوضاع الجديدة وكثيرا ما تجتمع كل هذه العوامل النفسانية والاجتماعية وكذلك ارتكاساتها العضوية والفيزيائية معا في نطاق ديناميكية موحدة ، متكاملة ، فتصبح في آخر الامر المحرك الأوحد لجميع الحالات المرضية أو غير السوية التي يعانيها الانسان في عصرنا هذا ·

2) ما هو العقل إذن ؟

يتميز لنا مما سبق انه ليس هناك وظيفة مستقلة تدعى بالعقل • فما العقل إلا جواب العضوية المجرد على مجموعة القوى الفيزيائية والنفسانية والاجتماعية التى تواجهها ولا يبقى اليوم لخرافة انفصال الجسم والعقل العتيقة وجود •

فما العقل والجسم اذن الا مظهران مختلفان لوحدة أساسية • فلا يسعنا الا ان نستعمل كلمة العقل لنعنى بها صفات العضوية عندما تتلاءم أو ترتكز كوحدة شاملة •

فالتغيير الظاهر لارتكاس هذه الوحدة يدعى بالسلوك ، وما السلوك الا مجموعة الجواب على المؤثرات المختلفة سواء كانت باطنية ناجمة عن داخل ذاتنا أو ظاهرية ناتجة عن المحيط الخارجي • فالسلوك اذن ليس بجواب منفصل بل هو يمثل ارتكاز الشخصية على مختلف مصادرها الوراثية والبيولوجية والنفسانية والاجتماعية والثقافية فاذا قال شخص : (أنا حزين) فلا يسأل نفسه فى أى موضع من شخصيته هو حزين ، بل إن حزنه أو فرحه يمثل ارتكاسا كليا لعضوية حيوية كاملة يختص بها وتعبر عن نفسه بالذات بصفته كائنا حيا فريدا بذاته ذا سلوك معين فريد بنوعه ، وان هذا السلوك والاتزان لا يمكن ان يستقرا الا بالتلاؤم مع المحيط والمجتمع •

3) حقل الامراض النفسية وأسبابها

فغاية علم الامراض النفسية هى اعادة سلوك المريض على ضوء ما نعرفه اليوم من المعلومات التى تتعلق بالعوامل الكيمياوية والفيزيولوجية من جهة وبالمؤثرات النفسية والتربوية والاجتماعية والثقافية بصفة أعم من جهة أخرى، تلك العوامل المتكاملة التى تداخلت فى نشأة وتطور انحرافه ومرضه•

فعلى هذا الاساس تبحث علوم الامراض النفسية فى مظاهر اضطرابات الشخصية ومنشئها وعلاجها ، سواء أساءت هذه الاضطرابات الى الشخص ذاته او الى علاقته مع الغير ، ثم انها تدرس ايضا وظيفة العمليات العقلية وتأثيرها ، فالحالات الانفعالية وارتكاساتها المختلفة من الاضطراب البسيط الذى يكاد يعتبر سويا الى الاضطراب الحاد الشديد الذى له انعكاسات خطيرة على الاتزان والسلوك بصفة عامة • وهكذا نرى أن علوم الامراض النفسية لا تنحصر فقط فى درس المظاهر السريرية (يعنى التى نعاينها على سرير

عام ، كما انها لا تقتصر على بحث انحراف فيزيولوجية الدماغ المرضية الواضحة ، بل تتناول أيضا محاولات الشخص لارضاء حاجاته الغريزية والوجدانية امام المجتمع والمحيط وبالتالى مفعول التربية التى تعاكس غالبا هذا الارضاء • وهكذا يصبح العقل والجسم ـ وهذا أكده طويلا الاعلام القدامى ـ وحدة شخصية لا تنفصل أصولها ولا تفصم ولا يمكن النظر اليها كعنصرين منفصلين بل كمظهرين مختلفين لعضوية موحدة حية ، يمثل العقل الدور الذاتى لها لا وجودها • وبهذا يصبح علم الامراض النفسية فرعا هاما من علم الحياة بصفة عامة •

على أن علوم الامراض النفسية تفترق عن غيرها من العلوم الحيوية بانها تبحث فى العضوية (organisme) كوحدة كاملة متكاملة لا باعتبارها مكونة بل مزدوجة من اجزاء وذلك بعكس علم التشريح مثلا ، فتتكون العضوية من اعضاء تحقق باتصالها وبتعاون وظائفها وحدة منسجمة تربط بينها اولا وبالذات الجملة العصبية فتركز مظهرها الحيوى الجملة العصبية النباتية والغدد الصماء (Système neuro-végétatif endocrinien) أولا ، وتؤمل ثانيا الجملة العصبية المركزية (Système nerveux central) اتصالها بالمحيط بواسطة الحركة والاحساس • وان هذه العضوية المتكاملة تملك خصائص حيوية جديدة لا تتصف بها مركباتها من الاعضاء ، فيمكن ان نذكر مثلا من هاته الخصائص الشعور والادراك والرغبات والمحاكمة والتمييز الخ ••• وهكذا فان علم الحياة الذى يبحث فى الخصائص الجديدة التى تمتاز بها العضوية عند البشر يعرف باسم علم النفس الحيوى (Psychobiologie) وهو يدرس وظائف العضوية وتطورها بصفتها وحدة متكاملة لا تتجزأ ، بل انه يدرس بصفة أدق الشخص ككائن حى ذى سلوك ومحاكمة وتمييز • فالعقل هنا يصبح وظيفة كاملة لعضوية نجمت عن الحاجة للتلاؤم مع مختلف الشروط التى تجابهها ، وهو غير منفصل عن الجسم ، كما انه ليس بشىء أضيف الى الجسد فى مرحلة من مراحل التطور •

وفى الختام ينبغى ان نذكر ان السلوك البشرى ، سواء ما يسمى السلوك السوى او السلوك المرضى ، انما يمثل دائما محاولة نفسية وحيوية لضمان تلاؤم ما مع شروط الحياة وظروفها ، فتستنتج من هذا كله اعتبارات هامة لفهم معنى سلوك البشر على مستوى الافراد والجماعات وذلك لا من ناحية المرضى فحسب بل حتى فى المظاهر السيئة السوية لهذا السلوك • وهذه المبادى لها ارتكاسات هامة بالنسبة للمواقف الفلسفية والعلمية والاجتماعية بصفة عامة •

4) الاستنتاجات فيما يخص الجهاز الصحي

فعلى هذا الاساس نفهم اليوم لماذا والى أى حد تطورت الاجهزة والمؤسسات العصرية المختلفة الانواع التى ترمى الى الوقاية من اضطرابات شخصية ، وفى تدهور سلوكها من جهة ، والى علاج الانحرافات الناجمة عن تهجمات المحيط الباطنى والظاهرى للانسان من جهة أخرى ، فأصبحت الطرق الرامية الى الوقاية والعلاج فى هذا الميدان متكاملة منسجمة بعضها مع بعض ، لا يمكن استعمال البعض منها دون الآخر فيتحتم أن يصبح الحقل الصحى والحقل الاجتماعى بالمعنى الاوسع متكاملين على هذا الاساس سواء فى مستوى فهم الاصابات او معالجتها . هذا وان هذه الطرق والاساليب اصبحت تتفرع الى أقصى درجة ولكنها ملتزمة التكامل والتعامل المتبادل المستمر فيما بينها .

وهكذا نفهم لماذا ينبغى ان تتركز المصالح الرامية الى علاج الانحرافات العصبية والنفسية الى مؤسسات مفتوحة الابواب قائمة فى صدر المستشفيات العمومية ومتكاملة معها ذلك لتنتفع بكل الاختصاصات الطبية المجاورة ثم عليها أن تنتشر خارج المصالح الصحية ذاتها لتتسرب فى المحيط الخارجى وفى الحياة العادية سواء كانت منزلية او مدرسية او مهنية او اجتماعية بصفة أعم فتصبح هذه المؤسسات مصطبغة باشكال عديدة متنوعة الصفات من مستوصفات مصالح نهارية حيث يعالج فيها المريض بالنهار ويعود الى منزله ليلا ، او بالعكس من مؤسسات ليلية حيث يعالج خلالها المرء ليلا ويعود الى عمله اليومى طيلة النهار الى آخر ذلك من المصالح المتنوعة الاسس والاتجاهات، لكنها دائما متكاملة منسجمة فى أداء رسالتها الشاملة باعتبارها تجابه مشكلا متشعبا يتعلق بمظاهر متكاملة لوحدة عضوية وحيوية واحدة لا تنفصل مع العقل الذى يرتكز عليها ، وذلك سواء فى الحياة العادية او فى الحالات المرضية ، وهكذا تصبح المبادىء والاكتشافات العلمية تتماشى مع الواقع فتمون التجربة وتغذيها ثم تنجم عنها فى نفس الوقت فترجع فى آخر الامر بارتكاسات تطبيقية مفيدة جدا بالنسبة لحياة الفرد والجماعات .

وهكذا تصبح الاكتشافات العلمية والمبادىء العضوية الناجمة عنها تؤكد التجارب اليومية ، وتستخلص منها فى آن واحد ، فتترتب عن ذلك استنتاجات مفيدة جدا بالنسبة لحياة الفرد واستقرار شخصيته وسلوكها السوى ، وفى آخر الامر بالنسبة لاستقرار المجتمع واتزانه بصفة أعم .

س. ع.

الى من يحب السلام

شعر : حسن بن رمضان

رابطة فينيس

الجزائر — مدينة المدية

إلى كل من قد أحبّ السلاما   فعاش رسولا يبث الوئاما
إلى من أحب جمال الوجود   فصاغ حروف هواه خُزامى
عشقنا أغاني المحبة منذ   لفظنا ، الحروف ، وصغنا الكلاما
رأينا الهوى في انعطاف الأزاهير   فوق الشفاه ابتساما
رأيناه في مَيَسان السنابل   وقت احتواها النسيم غراما
رأيناه في الشمس ، في البدر ، في   بسمات النجوم هياما
شممناه في سريان العبير   ببيّارة البرتقال دواما
سمعناه في خفقان الغدير   وقد ذاب من وجده وترامى
ولكن طلبناه بين الشباب   وأكثرهم في المتاهات هاما
فماذا رأينا ، رأينا عيونا   بنى الشك والحزن فيها خياما
حضرنا مواعيدهم ألف ليل   فلم تلمح العين إلا ظلاما
ترامى الهوى في دروب القنوط   وغصّ الفؤاد أسى وانتقاما
رأينا شفاه الشبيبة تملى   أسى والتبسم أضحى حراما
تشاهد آيات رب الوجود   وتحيا تنادى : شقانا .. إلاما ؟
رأينا الأزاهير حيرى حزانى   وقبل التفتح أضحت حطاما
لذلك صغنا قصيدا يُغنّى   فيهدي إليها مني ابتساما

وسواس قهري

قصة لعز الدين المدني

* * *

1 ـ تكـــويـــن

يدخل الرجل الطويل المطعم · ·
الآكلـون · · يسيـر بهـدوء ·
الشـاربون · · لا يحدث حـذاؤه حسـا ·
عـن · · لا يلتفـت إلى أحـد ·
دخـانهم يترقبـون · · ينظـر أمـامـه ·
يمـر بين صفى الطـاولات · · حـذاؤه لا يقـزقـز ·
· بقعـة شـاغـرة ·
· بيـده جـريـدة ·

الجـالسون والصـامتون و · ·
الآكلون جالسون والشاربون صامتون والمترقبون عن ·
تفاحة على صحن فوق طاولة · ·
كعبـه غـريبـه · · لا ينظـر ·
· لا يشـم ·
· لا يسمـع ·
· لا يذوق ·
الآكلون الجالسون هم متناثرون · · ری = س
الشاربون الصامتون هم كيف ؟ · عـن وعـلى ·

هـم صفـا صفـا ·
الآكلـون
هـم سمطـا سمطـا ·
الشـاربـون
هـم وحـدانـا وحـدانـا ·
يمـر بين صفى الطـاولات ·
طـاولة فوقهـا صحـن عليهـا تفاحـة ·

هـم زرفـات زرفـات ٠

يدخل الرجل الطويل المطعم ٠ يغلق الباب ٠ ثم يمر بين صفى الطاولات ٠ وهو ينظر الآكلين ٠ المصراعان ٠

رواق ٠

بـل شبـه رواق ٠

حتى كأنـه رواق ٠

كم الساعة من فضلك ؟ الحداش وواش ٠

رقم تليفونك من فضلك ؟ ميتين وخمسه وخمسين وواش ٠

رقم دارك من فضلك ؟ آش تحب عندى ؟ فك على بـابـا !

المطعم الطويل الرجل يدخل ٠ فيسير بهدوء ٠ ثم يتجه نحو مكان شاغر ٠ تفاحة على صحن فوق طاولة ٠ المصراع الاول ٠ المصراع الثانى ٠ لا يلتفت أحدهما الى الآخر ٠ حتى كأنه مجاز فى دار عربى ٠

يا سى على آش نيه أحوالاك ؟ واللـه لا بـاس ٠

وانت آش إنك ؟ واللـه لابـاص ٠

واحوالاك بخير ؟ فـك على بـابـا !

الرجل ٠ يدخل ٠ الطويل ٠ المطعم ٠ إلى ٠ فى ٠

يدخل ٠ الرجل ٠ المطعم ٠ الطويل ٠ فى ٠ إلى ٠

الرجل ٠ يدخل ٠ الطويل ٠ يدخل ٠ المطعم

يدخل ٠ المطعم ٠ الرجل ٠ يدخل ٠

المطعم ٠

بكل بساطة : يدخل الرجل الطويل إلى المطعم ٠ فى ٠

فيمر بين الطاولات ٠

يقـال : رجـل طويـل وطـوال وحنطويـل ٠

رجـل قـرده بـاب ٠
رجـل جنـش ٠
رجـل بـلانكـو ٠

رجل عثمثمى ·
رجل مهباط ·
رجل كيف سلوم النصارى ·
رجل كيف سيدنا عوج بن يعنق ·

إذن : يدخل الرجل إلى المطعم · ثم ينبغي رسم الوجه · وجهه · وجهه كبير · وجهه صغير · وجهه ضخم · وجهه غثمى · وجهه لا كبير ولا صغير ولا بين بين · وجهه قلب لوز · وجهه مستحب الكبر ومستحب الصغر · وجهه لاهو لاهو · وجهه مثلث متساوى الأضلاع · القاعدة هى الجبين · القمة هى الذقن · كوسج · الوجه المدور كالخبزة كيف يكون ؟ منمنمة · يدخل الرجل ·

ذو الوجه · أخيب ما فيه هو وجهه ·
أقبح ما فيه هو وجهه · أسمج ما فيه هو وجهه ·
أبشع ما فيه هو وجهه · أرعب ما فيه هو وجهه ·
أهول ما فيه هو وجهه · أهوج ما فيه هو وجهه ·

وجه أهوج · اللطف يا ربى ! أقذر ما فيه هو وجهه · أردأ ما فيه هو وجهه · لا بد ـ حينئذ ـ ان دماغه قزدريه كذا ، والعياذ بالله · اذن :

يدخل الرجل ذو الوجه إلى المطعم ·

آش اسمك ؟ أسميك خير من أن أكتب · يدخل الرجل الطويل ذو الوجه الأهوج المطعم · آش تحب عندى ؟ أعرفك · أسمك صالح · إسمى عزوز · إسمه علاله · أتذكر الآن أن أحد سلاطين بنى حفص كان يسمى عزوز · هو أبو فارس عبد العزيز · ترخيم : عزوز · هذا موش ترخيم بل هو تغفيص · سمنى كما تريد · لكن على شرط : أن يطابق إسمى وظيفتى الاجتماعية لأكون شخصية واقعية بل حقيقية ، إذا أردت ممكنة · فالفلاح الجاهل البسيط لا يمكن له أن يسمى كمال · والخادمة فى بيتك لا يمكن لك أن تسلط عليها اسم رجاء اللهم إلا إذا استعارت أمها الاسم من حصص الاذاعة · بينما · إذن إسمى اصطلاح اجتماعى · قل لى ما هو إسمك ؟ فك عاد على بابا ! آش بيك تشد ما تسيب ؟ هو كل صباط عندو نومرو ؟

شـربه لسـان عصفـور
شـربه سبـارص
شـربه وعصـره قـارص
شـربه فـريـك هـايلـه تعمـل
ستـه وستيـن كيـف
بـرغـل
سـدر بالليمـون والكبـار
حسـو
لبـلابى
مـا تهبطـش المستـوى
شـربه لسـان عصفـور
هـرقمه بقـرى
شـربه لسـان عصفـور
مقـرونه بالخضـرة
محمصـة بالدبـابش
حـلالم بالفـول الفصـاص

العين تأكل أيضا • على الطاولات مناديل بيضاء مبقعة بالادام • أحدهم منحنى الظهر • بخار كأنه دخان • قطوس حمام • شىء يتلبـق • شىء يترغدن • آش نيه ها الاوساخ لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ الآكلون الجالسون متناثرو اللذون • الأجاصة • رجل أنجاصة • يدخل الرجل الطويل ذو الوجه الأهوج ذو العين جات فى الشحمة الى المطعم الذى • يشربون • يتقدم تقدما هادئا • تفرز المعدة سائلا للهضم • امـرأة تفـاحة • والتفـاحة التى فوق الصحن هى بالتالى فوق الطاولة •

يقـال : رجـل جمـك
رجـل بـورتـلاف
رجـل بـلارج
رجـل طـويـل بـلا غلـه

اطعم الفم تستحى العين • لكن ، العين تاكل زاده • مرآة طويلة فى طوله تقريبا فى صدر قاعة المطعم • لا ينظر شمالا ولا يمينا • فى الحقيقة ، إسمه

الحقانى : على • فعين على هى عينه • واللام هى أنفه • والياء المعرقة هى ذقنه • وذيلها المقوس هو أذنه • بقية سمكة • الجريدة قديمة • زجاجة نصف فارغة • زجاجة نصف ملآنة • المرآة الطويلة فى طوله رقيقة العرض • بحيث اليمين تقابل الشمال ، والشمال تقابل اليمين • ومن الغريب أن الناس يحلمون بالمستوى الرابع • والمرآة منقوبة • إذ المصراعان من الزجاج المحبب • آش بيك عامل لى دربز يا سيدى ؟ الدنيا كالمرايا • وكل واحد ـ راهو ـ اللى فى صندوقو فوقو • انظروا كيف بدأ • لم تعكسه المرآة • لم تعكس منه إلا من الكتفين إلى حد الكعبين • والرأس ؟ رأسه عظمة •

يقال : رأسه قرعه

رأسه دلاعه
رأسه فقوسه
رأسه بطيخه ثلعاوى
رأسه كرموصه
رأسه زبيبه
رأسه بصله
رأسه خرشف
رأسه كرنب
رأسه ثوم
رأسه فاشكه
رأسه قرطله

أهوج ما فيه هو رأسه • مشبشب • لكن اذا كان رأسه قرعه ، إملا عينيه طماطم ؛ واذا كانت عينيه بطاطا ، إملا سنيه لوبيه • يا بو الأحناك ! بينما مصراعا الباب من الزجاج بلاكسيقلاص • دخل محمد يخرج على خرج على يدخل صالح • بوقال ماء • يا سى السماء هات واحد مرمز • يدخل الرجل حتى فى المرآة • لكن المرآة شهباء • وإن دل هذا فانما يدل • أنفه مشمش • السلام عليكم • وعليكم السلام وبرشه كلام • يرتج المصراعان • من الغريب ، هذا المشى الضيق فى المطعم • الزليج : مربع أبيض • مربع أسود • مربع أبيض • مربع أسود • والبيادق • مربع أبيض • مربع أسود • بين الباب والمرآة سبعة أمتار وواش • الآكلون كهول عزاب سبعة وواش • الشاربون كهول عزاب سبعة بما فيهم الطباخ الكوميك

والرجل الأهوج الذى يدخل الى المطعم • إصلاح خطا نحوى : بمن • والقضية فى آخر الأمر هى قضية هوية يا أخ • والله ، توا ، نضربك باشكنباوى • أهوج ! أهوج ! أهوج ! والعجب أن هذا الرجل الأهوج يقال أنه رجل أطوماطى يأكل ويشرب ، يخدم ويرقد ، يسكر ويركب النساء • وهو سعيد ! يصيح : سعيد ! سعيد ! لأنه يملك مرايا بالشقليبه ، ومحبس حبق ، وناب ذهب ، ويخاصم جاره ويقول له : افهمت وإلا لا ؟ صباح الخير يا قهواجى هات كاس ماء والجريدة وشوف لى ثماش حد يناقشنى فى السياسة • بين السقف والارض سبعة أمتار وواش • دز هاك الفرز • كرافة ماء •

بوری
جغالی
كلب بحر
قاروص
شلبه
قمبری
ماكرو
سردينه
سفن
وزف
سوبيه

حلاب فرفورى • الزينه خروبى • بقية سمكة سبارص • حلاب فخار • وعصره قارص • أنت وصورتك فى المرايا بالشقليبه : شخصان مختلفان • إذ هناك ثلاث مقولات الصواب أولا ، وخلاف الصواب ثانيا ، والخطأ ثالثا • افهمت وإلا لا ؟ واذا أردت أن تستعمل حساب المجموعات الكبرى فانك تقول سبعة وسبعة تساوى سبعتين لا أربعطاش • افهمت وإلا لا ؟ والحقيقة ان المرآة مقشرة لأنها قديمة • والمرآة نديه لأنها عتيقة • والمرآة خماء لأنها بالشقليبه والمدهش أن • والمرآة طائفة لأنها • العين هوجاء لأنها سكرانه • أربعمائة وخمسون مليما ، وزيد عشره بوربوار ، ربما ! يا سى فلان ، ياخى

تحب الكرش ؟ بقية سمكة على جانب الحلاب · وأذن الحلاب مشرومة · شاشية هذا على رأس هذا · وأذن القمع مقطوعة · وأذن الرجل منقوبه · وأذن القفة مخلوعة · لكن والحق يقال أبشع ما فيه هو رأسه الأهوج ، وعينه السكرى ، وشعره ، وأذنه · والدنيا عين كبرى · والدنيا أذن الذكرى · والدنيا ناب وتقرميش ·

فى المطعم أربعون طاولة ·

كل طاولة مصنوعة من الخشب الأبيض ·

على وجه كل طاولة صفحة من الفورميكا ·

لكل طاولة أربع سيقان ·

حول كل طاولة أربعة كراسى مصنوعة من الفورميكا ·

الفورميكا لامع أملس صلب لونه أزرق بحرى ·

لكل كرسى أربع سيقان ·

كل ساق مصنوعة من جعبة حديدية مدهونة بالدهن الأبيض المعروف بالـلاك ·

عند أسفل كل ساق دائرة من المطاط الأسود ·

فى وسط الدائرة قطعة مستديرة من الخشب الأقلوميرى ·

فى المطعم أربعون طاولة ·

على كل طاولة أربعة مناديل ، وأربعة صحون من صناعة ليموج · هى متقابلة ·

على جانبى كل صحن فرشيطة وسكينة من الاينوكس ·

أمام كل صحن كأس فارغ ·

فى وسط كل طاولة وعلى مسافة تكاد تكون متقاربة من كل صحن ، كرافة ماء ، بجانبها ملاحة فيها شىء من الملح وشىء من الفلفل الأكحل ·

فى طرف كل طاولة سبت خبز فرنسى ·

فى المطعم أربعون طاولة ·

كل منديل مربع الشبكل : خمسون سنتمترا على خمسين سنتمترا · وهو من قماش القطن · ولونه أبيض حائل ·

كل صحن مستدير الشكل · فى قعره صورة لامرأة أوروبية يرجع تاريخ لباسها الى القرن الثامن عشر · وهو من الفرفوري· ولونه أبيض من الحليب·

كل كأس مفرطح وعال · مقداره ثلاثة وثلاثون سنتيليترا ·

كل كرافة مجوفة ، رقيقة العنق ، مفتوحة الفم · على تجويفهـا حـروف لاتينية مطبوعة فى الزجاج : أنيس ·

كل ملاحة ذات حفرتين · الحفرة الاولى للملـح والحفـرة الثـانية للفلفـل الأكحل · ونوع الزجاج محبب ، محثرب ، أحرش لا ينكسر بسهولة ·

كل سبت مصنوع من سعف النخل الشائـع والمظفـور · جل السعف أبيض · لكن له زينة حمراء وبنفسجية كالصبغة ·

كل فرشيطة وسكينة ومغرفة كبيرة ومغرفة صغيرة منقوش عليها سنبلة فى مكان المقبض ·

فى المطعم أربعون طاولة ·

- ومائة وستون صحنـا مستعملة وثمانون احتياطية ·
- ومائة وستون فرشيطة مستعملة وسبعون احتياطية ·
- ومائة وستون سكينة مستعملة وستـون احتياطية ·
- ومائة مغرفة كبيرة ومائة مغرفة صغيرة ولا شيء احتياطي ·
- ومائة وستون منديلا مستعملة منها خمسون قذرة وعشرون احتياطية·
- ومائة وستون كأسا مستعملة وسبع مكسرة وتسع احتياطية ·
- ومائة صحفة ولا شيء احتياطي ·
- وسبع وسبعون كرافة ماء ولا شيء احتياطي ·
- وأربعون رمادية مختلفة الألوان وهى أبيض وأزرق وطينى ولا شيء احتياطي ·
- وأربعون سبت خبز ولا شيء احتياطي ·
- وثلاث فاشكات ·

فى المطعـم أربعـون طـاولـة ·
ومكنسـة واحـدة ·

ولافـابـو واحـد ٠
وكـاسـة واحـدة ٠
ومـرحـاض واحـد ٠
ومـرآة واحـدة ٠
وصـابـون واحـد ٠
وفوق كل طاولة مصباح واحد ٠
وبـريـق واحـد ٠
وسطـل واحـد ٠
وخيشـة واحـدة ٠
وسبـالـة واحـدة ٠
ومطبـخ واحـد ٠
وصـاحبـه واحـد ٠
وقـرصـون واحـد ٠
وعـرفـه واحـد ٠
وفـار واحـد ٠
وخنفـوسة أم قبـاقب واحـدة ٠
وبـاب واحـد ٠
وطباخ واحد لا يراه أحد واحد ٠

ويدخل الرجل الطويل الوحيد ذو الوجه الأهـوج الواحـد بين الكهـول العزاب السبعة ٠ ولكل مصراع إطار حديـدى مدهـون بالـدهن الأخضـر الفستقى ٠

وجهك مشطرب يا شطربة ٠ هو من جماعة الهاكومو ٠ لا يخرج الدخان من المطعم ٠ الهواء ٠ بين الباب والمرآة ٠ بين الجدار والجدار ثلاثة أمتار ٠ بين الصف والصف ستون سنتمترا ٠ يهمه بلاغ فى الجريدة القديمة ٠ قامته ٠ هل ثمة من يتقيأ من الآكلين الكهول العزاب السبعة ؟ كوبـة بـاب المطعم مكسرة ، بينما الغانجو منعدم ، والحلقة فى الجدار ٠ بين الباب والمرآة ٠ إذن قامته متر وسبعون سنتمترا وأربع أصابع وكرسوح ٠ والقناطر سرداوى ٠

وإذا كان وجهه كعبة بيتنجاله ، إملا عينيه عظمة مروبة. المشكلة هى البلاغ. المرتب ينقسم الى ثلاثين يوما وليلة ونهارا . منه تعيش منه تموت . يـرده يرتد . يغلقه لا ينغلق . يرجه لا ينغلق . يـدفعه لا ينغلـق . يدفـره لا ينغلق ولد الحرام ! اغلق الباب ! ينفتح . مصراع على مصراع طوال النهار . فى المطعم شاطار واحد . الزليج المربع منمش بالأحمر مطشوش بالأشخم مرشوش بالأبيض . مربع أول . مربع ثان . الكهول اللـذون ، والطاولات اللتون . وما زال الرجل الطويل ذو المرتب الشهرى . الشمالى عند الدخول الى قاعة . نارها قماش المنديل شيئا فشيئا . ليس من على الأقل . لا يقزقز حذاؤه . على الجدران طبقات من الجدران والجير فيها صور . حين يضع الطباخ الصحون ، والمغارف الكبيرة والصغيرة ، والفرشيطات ، والمناديل ، والملاحات، والكرافات ، والرماديات . والهريسه ، تتضعضع الطـاولات . تتـدلى من السقف ثلاث جعبات من النيون . رعشة فى مواء القطوس العجوز . كوبة باب المطبخ مكسرة . له مشاكل مـع الكـوب . الفـار يلعـب تحت الطـاولات المسوسات . وهو فار بو طميـرة . وثمة آخر يسمى سـارق السمـن له ألف ساق . أما أم قباقب فموضوعآ خر . فالذبـان الذى . خمسـة آلاف للكراء ، وخمسة للسيد الوالد . وخمسة لفولانه . وعشرين للطباخ . وفولانه ديما جيعانه . معطف معلق فى الشاطار . مشطرب . متطرب . قائمة الأطعمة مععوجة الشمخ . والشىء قد يكون . يقال أيضا هذا رجـل مخمـاخ . على بلاكسيقلاص المصراعين طلاء الطباشير حتى لا يشاهد أحد فى الشارع من الشارع أعنى الآكلين الكهول العزاب السبعة . ورجل مدلل شخناق . قازان واحد . وطـاجين واحد . وخـابية واحدة . وطنجـرة واحـدة . وغربـال واحد . وشقالة واحدة . وكروانة واحدة .

كسكسـى ربعـى بالعلـوش 350
نـواصـر باللحـم البقـرى 350
روز بالـدجـاج 350

ورجل مشتاق . ورجل منفـاق . ورجل مشحـاح فرتاق . ورجل فلانة مزواج مطلاق . فولانه ديما جيعانه .

مقـرونـة فـل باللحـم 300
مقـرونـة سبـاڤيتى باللحـم 300
مقـرونـة ڤـرابط باللحـم 300

مقرونة مخلطة بلا لحم 100

دويدة بالخضرة جارية 50

فك علي من ها الميزيريه ! النهار الكل واللبلابي ! يرتعش ضوء جعبة النيون . ولا بد أن يدخل الرجل الى المطعم . الشمالاح . لكل أكلة ثمن ، إلا أنا فلا ثمن لي . لكل شيء قياس ، إلا أنا فلا قياس لي . لكل شيء وزن ، إلا أنا فلا وزن لي . لكل شيء كيل ، إلا أنا فلا كيل لي . والدنيا صاع ، وذراع ، وباع ، ونفع ، وانتفاع . والدنيا خبز حرفي وتهرويش . بقيت المسألة معلقة وهي : اذا كانت الكوبة مكسرة فكيف للطباخ أن يغلق المطعم في كل مساء ؟ والسوس في خشب الشاطار ! وأنت تتصور أنها تأتي مساء كل خميس ومساء كل أحد . وتطلب سبعة دنانير لا أكثر ولا أقل ودبر رأسك ! ياخي عندي هنشير البزازية ؟ آش اهمني فيك ؟ كل يوم عند الظهر يدخل الرجل الطويل الى المطعم ليتناول غداءه .

هيئة الآكل الأول الكهل العازب لا
تشبه هيئة الآكل الثاني الكهل العازب
رأس بلاستيك رأس تكنيك
رأس أنفورماتيك رأس تبعكيك
هيئة الآكل الأول الكهل العازب
تشبه هيئة الراكع في الصلاة أمام المحراب
رأس زلاط رأس مهباط
رأس عفاط رأس مجراب
هيئة الآكل الثاني الكهل العازب لا
تشبه هيئة الآكل الأول الكهل العازب
رأس حلاب رأس قلاب
رأس ميزاب رأس فرطاس
هيئة الآكل الثاني الكهل العازب
تشبه هيئة الراقد في فراشه الوثير وهو يشخر
رأس فاس رأس بسباس
رأس كسكاس رأس تشوكيح

الرجل (إذا عرفت أن تعرف إسمه فـ)ـهو جمال الدين بن جلال الدين بن شهاب الدين بن نور الدين بن صلاح الدين بن شرف الدين بن محى الدين بن • • الدين بن سيدنا آدم •

نموذج من كلامه : كواتـرو يجمع على كواتـروات • وكمنتـرو يجمع على كمنتروات • آش نيه ها الشقلاله ؟ الزغب ثم الزغب ؟ • الفخذ على الفخذ • حرام عليك حلال على • إسكالوب يجمع على اسكالوبات • وسالوب يجمع على سالوبات مثل راديو يجمع على راديونات • لكن ها النون منين جبتها ؟ آش نيه ها البيعه المقطعـه ؟ نهـج المقطـر بمـن فيـه • بولييستـار يجمع على بولييستارات • تمعويقة يجمع على تمعويقات • نيلون يجمع على نيلونات•آش نوه ها التشربيكه يجمع على التشربيكات •

الرجل (خذ هذا من باب علم لا ينفـع وجهل لا يضر) إسمـه سـامى بن كمال بن عياض بن قيس بن حاتم بن سميـر بن الفـاضل بن الزبيـر بن منير بن الراضى •••

مقياسه النفسانى : نعم يقال رجل حقنة وهى فارعة القـد قائمة النهـد تلدغها فتمصك حتى العظم والعياذ بالله • قلم الشفاه الاحمر الوردى • برج بقلاوه مشحر بالسمن • عانتها منقالة • أنت تخافين من الفراش • يتلبق كثيرا • هيا • نعم يقال يحب التلبيق • بعد عشرين عاما من الزواج يقول لها كالعاشق الهيمان : ما زلت تحبينى ؟ تقول له : ابعد على بقلـه ! أيجـى للفرش • بر على هو ما زال يخرج علينا ؟ نعم هو رجل دحناس نسناس • هيا والله إلا ما تجى • باهى فى الظلام • عندك عشرة أفروخ وانت ما زلت إتلوج ؟ يا راجل هذا عيب ! هيا اطلع • ولدك يسمع يا شومى • بالحـرام إلاما تطلع • هيا • هز • والغريب أنه مولع بالموضة • إذن هو رجل زازو • له فريزى • وشعره بالڤومينا • بحيث هو رجل بوماضة • ثم لـه كرافـات شاباكونى ، وصباط شاباكونى ، وكسوة كروازى بست فلس ، وشـلاغم كلارڤابل ، وبوشيت دانتال ، ومحرمة حرير ، وتراندات ، ويتعطر بعطـر هيليوتروب • والعجيب أنه لا يخالط إلا القوره • وبين الكلمـة والكلمـه يقول يلعن الڤينيا •

تلبيس يتساقط من السقف • حفر كثيرة • هيئة الآكل الثالث لا يوريك ولا يروعك • هو رجل أزمة • وهذه ترجمة لراجل سخطة ! رأسه كرضونة معجونة •

هيئة الآكل الرابع • رجل عادى • مبتذل •

هيئة الآكل عتيدك • يتنحنح ، يتنخم ، يبزق ، يمخط ، يكح ، يعطس ، يغروط ، يلهث • عين الحسود فيها عود • وهو رجل مريض بالسكر ، مريض بالكلوة ، مريض بالرمد ، مريض بالبرص ، مريض بالعطعط ، مريض بالمعدة ، مريض بالنقرص ، مريض بالجرب ، مريض بالصفرة ، مريض بالعصب ، مريض بالدوخه ، مريض بالعذر ، مريض بالقبض ، صبيطار على حاله !

زريقة مع شيء من الماء قبل الأكل • ثلاث حربوشات بعد الأكل • خمس مغرفات في وسط الأكل •

وهو رجل متعصبن • يتعصبن حين يراها ، فيطلع السكر • يتغشش دائما • يأكل الخبز المبسس بحبة حلاوه والبسباس • فيصعد السكر • يشرب ماء السباله ، فتقرصه الكلوة • لا يأكل إلا الدجاج ، فيهرده النقرص • يلحس الهريسه ، فتحرقه المعدة • ويجرش • يجرش • يجرش •

آفاق يوم السبت : تغيير المطعم •

باسم الله • هيا تفضلوا • الآكل السادس عازب عزلوك • الآكل أو الكرافة على الطاولة • هيئة الآكل السادس أو هيئة الدبوزه في الفترينة • الآكل السادس أو شكارة بطاطا متكية على حيط • الآكل السادس أو أيقل عيكل • الآكل السادس أو غنجاية معلقة أو بقراج على كانون أو هيئة العالم أو هيئة هيكل عظمي أو حجارة تاريخية مربعة الشكل أو طنجرة فارغة أو جائع يأكل العالم أو العالم يأكل الجائع وتمشميش أو صحفة مدمس أو فاشكة مكسرة مبزعة أو مسدس في دماغ الدنيا • • أو •

حوت بوري مقلي 700
حوت قاروص مشوي 650
حوت جغالي في الكوشه 650
غلة ....
شكلاطة ....
دبوزة شراب كوديا ....
آه يا قلب الدنيا اخفق في صدري •

يدخل الرجل الطويل الى المطعم كعادته في كل يوم • يمر بين صفي الطاولات • يجلس الى طاولته • يأكل وهو يقرأ • ثم يخرج •

* * *

ع• م•

نبوءة شاردة

شعر : محيى محمود (*)

(مصر)

أود أفضي إليكم بالذى أَجِدُ
إن ترفضوا لم أَقُلْ ،
لم يكتشفْ أحدُ

نامت على الجسر عين العابر الفارس
يدفئها حزنها
والصرصر القارس .
وحين طافت بها ،
حطت على هدبها ،
نبوءة شاردة
هامت على غيبها ، ووعيُها جالس
يتلو تمائمها ،
يحصى غنائمها
الماء واليابس .

إن ترفضوا لم أقل
لم يكتشف أحدُ

أتيت من قبلكم
ولم أكن أعنى سبقا ولا حظوة
وجدت في كوخها ، شيخا يضاجعها
وكل ما فار كان العجز ، والقهوه .
وجدتها طفلة باعت ضفائرها ،
لمن يعاشرها
همتْ تعانقني

تقـول تعشقني
دسـّتْ بجيبي صكوكا ، حين أقرؤها ،

أحس أني لقيـط ، أنني ملك
وأنها داخلي ، نامت مع القـردهْ .
وأنّ في غيبتي الأفـلاكَ سائرة
والـروح فاترة ، تلهو بها المرده
والـريح متئده
وليـس يـكفي الشهـيد الدمع والجنّة ،
لأنّ من بعـده الاشيـاء مضطهـدهْ .

إن ترفضـوا لم أقل
لم يـكتشف أحـدُ

سعيت من قبلـكم ، حتى حرثت البحر
بـكيت من قبلـكم ، حتى رويت البحر
سرقت من رحلـكم ، تعويذة الغربـة
عنوان منفاكم
لترجعوا للتي في الاسر لم تهـرب
تجوع ، تعرى ، يعاشرها ضحاياكم
تزف أو تغتصب
الزيف هـود جها
والقهر كاتبها
وتحت أقدامها أسلاب غاصبها
حزام عفتها ، ضاعت مفاتيحـه
لا عنف يفتحـه ، ولا « علي بابا »
حليلها لم يـزل في رحمها نطفه
أن ترفضوا لم أقل
لم يـكتشف أحـد
في مأزقي ، أنتقي موتا يناسبني
والـروح قبعة

والريح عاصفة
عصاي صارت صليبا ،
إن يسانـدني
النمل يأكله ، والزحف يركله
يا طفلتي
يا التي ولدتها شمعه
تربثي ، واثبتي ، ووفري الدمعه
خذي يدي ، تهتدي .
أنا ضرير بصير .
أنا قعيد أجيد القفز والسرعة
أنا نبي عيسي ، أنت جبريلي
غني مواويلي
خذي يـدي ، أنشدي سري ، تراتيلي
فعقدة في لساني ، كبلت بطلي
ان يفقهوا قـولي ،
أفضيت حـرا رفيقا ، بالـذي أجد
ان يرفضوا لم أقل ، لم يـكتشف أحد .
هـذا غرامي أنا ، لا غـير يعشق لي
غرست عمري هنا
ان يسرقوا جنتي ..
فان لي حقلي .

م٠ م٠

(*) هذا قصيد من ديوان تحت الطبع بعنوان « قتلى برج الثورة » وفيه قصائد هذا الشاعر الشاب مجموعة مما كتبه على مدى 15 عاما ويتناول في مجمله تجربة جيل الثورة التي يجب ــ كما قالت جريدة الجمهورية ــ أن تذهب الى مدى أبعد مما وصلت اليه ، والديوان رسم من العاطفة والعقل لأحلام جيل من الاولاد والبنات قيل لهم أن أفضل وسيلة لتحقيق الاحـلام هي النـوم ٠

منتخبات من الشعر اليوغسلافي المعاصر

بقلم المستشرق اليوغسلافي : راده بوبوفتش

هذه المختارات تشمل 12 شاعرا منذ فترة الانبعاث حتى أيامنا هـذه ٠ وفترة الانبعاث تبدأ تقريبا من منتصف القرن الثامن عشر ، عندما شرع المثقفون يشعرون بقوميتهم ولذا اهتموا بالادب الشعبي ولكنهم ــ في نفس الوقت ــ يريدون أن يحذوا حذو الانجازات الادبية في غرب أوروبا ٠ وفضلا عن اهتمامهم بالادب الشعبي ، الذي أصبح مشهورا في العالم ، وبجانب هذه التطورات تبدأ دراسة اللغة على أساس توحيدها وابداع اللغة المفهومة لكل مواطن ٠ وأكثر الناس فضلا هو « فوك كارجيتش » الذي استفاد بأحسن مميزات لغة الشعب ٠ ومن هذه الفترة يجب ان نذكر الشاعر « بتار بتروفتش نيغوش » الذي يمكننا أن نقارنه بالمتنبي عند العرب وقد كتب هو أيضا بأسلوب فلسفي واستعمل أمثالا وأقوالا شعبية ٠ إن الاهتمام بالأدب الشعبي وتقاليده مساعد على ظهور الرومنتيقية التي جاءت بعدد من الشعراء الجيدين من بينهم « يوفان بوفانوفتش زماي » ، و « لازا كوستتش » ، وفي نهاية القرن الماضي ظهرت الواقعية التي امتازت بالنثر قبل كل شيء ٠ ولكن في ذلك الوقت نجد الشاعر « فويسلاف ايلتش » الذي يميل شعره الى التشاؤم٠

ان الشعوب اليوغسلافية في بداية هذه القرن كانت منقسمة بين مختلف الممالك المجاورة وتعاني بسبب هذا كثيرا وبعد تحقيق اتحادها بالذات بدأ عهد جديد في حضارة الشعوب اليوغسلافية وآدابها ٠ ولكن تشكيل دولة يوغسلافيا في ذلك الوقت لم يحقق أمل الشعوب فيها فنجد عددا من الشعراء يتوغل في التشاؤم وعددا آخر ينتمي الى احزاب متقدمة ٠ وفي الفترة ما بين الحربين ــ الاولى والثانية ــ نرى تأثير الادب الغربي والادب الروسي الجديد ومن شعراء هذا الزمن « فلاديمير نازور » و « ميروسلاف كرلجه » الاديب المتنوع المواهب ، و « ايفو أندرتش » الحائز على جائزة نوبيل ، و « يوفان دوتشتش » ، و « تين أويفتش » ٠

وبعد حرب التحرير حققت الشعوب اليوغسلافية أهدافها التاريخية وتطور الادب الى أقصى حد ممكن تقريبا ونجد اليوم تيارات ومدارس مختلفة وبجانب الشعراء الذين ترجمنا أشعارهم يمكننا أن نذكر اسماء « ميلوش

تسرنيانسكى » ، و « ميلان ديديناتس » ، و « فاسكو بوبا » ، و « راده دراييناتس » ، و « ميروسلاف انتش » ، وغيرهم ٠

وينبغى أن نذكر فى ختام هذا التقديم السريع أن ملاحظاتنا وترجماتنا تتوقف على أدب اللغة الصربية ـ الكرواتية فقط وهذه اللغة إحدى اللغات الثلاث المستعملة عندنا ٠

غوستاف كركلتس GUSTAV KRKLEC

الطريق من الفضة

لست أدرى من أنت ؟ يا صديقى العزيز
عندما ينزل المساء فوق بيتك
وعبر الظلام تنعق البومة
ويدور السحاب كسرب الطيور
فوق قباب المدن والقرى
اخرج فى الليل ... وسر
فالورد البرى سيسكرك فى الطريق
والشوك الذابل يفتح عيون اللوتس على الماء
اخرج ... وسر .. فستقع بردة من الفضة
على الطريق البعيد حيث قلبك يؤديك

ميركو بانيفتش MIRKO BANJEVIC

وهذا مجد أيضا

العظم فى الشجر
وبقع الدماء على الحجر
والقبر بلا اسم
والروح بلا جسم
وأنت ميت
كل هذا مجد ...
ولأنك ممزق أشلاء
ولأنك متروك فى العراء
كل هذا مجد ...
ولأنك جئت بلا نداء
ولأنك فقدت الأسماء
كل هذا مجد ...
ولأنك كنت وتكون
فى الصعود والهبوط
ولأن بيتك بلا ناس
وقبرك منسى بلا راس
كل هذا مجد ...

آلكسا شانتتش ALEKSA SANTIC

ليلتى

يا ليلتى متى تغادرينى ؟
أبدا ٠
يا فجرى متى تأتينى ؟
أبدا ٠
يا حظى متى تظهر لى ؟
أبدا ٠
يا سمائى متى تصفين ؟
أبدا ٠
يا حبيبى متى نحتفل بزفافنا ؟
أبدا ٠

يا دمعتى متى تتوقفين ؟
أبـدا .

ملان راكتش MILAN RAKIC

ليلـة الصيـف

من أين تأتين يا ليلتى الفاسقة
اذ يندى شعرك الاسود بالرطوبة
هل أتيت من تيارات المحيط الباردة
حيث كنت يوم صيف
على ثدى
عروس المياه ؟
والآن تقومين أنت وفى شعرك
يلتهب المرجان وتلتمع اللالىء
كانك فى ثوب راهب مبلل
بالنور الناعم وبأنفاس عشب البحار
وثدياك العطران
والنديان الناعمان
وكريش الاوز
يا حامية الخير ...
ان العاشق ينحنى أمامك
فتباركينه
وانت غافية متعبة
من المعانقة ...
يا ليلتى لا ترجعى الى تيارات البحار
انى أقبلها
فى ظلك النعيم
حبيبتى النائمة على ذراعى
حبيبتى النائمة أغمضت عينيها
واصلى وجودك يا ليلتى الرائعة
فسيظهر الفجر عن قريب
وتبدأ أنفاس الرياح الرقيقة
وأنا لم أعد أستطيع
امتصاص اللذة البديعة
المملوء بها
شفتاها ونهداها .

فويسلاف ايلتش VOJISLAV ILIC

فى آخـر الخـريف

اسمع عواء الريح عبر مروجنا الخالية
وهى تدفع قطع الضباب الكثيف الى
السهول الندية
ويقلع الغراب صائحا ويـدور فـوق
رأسى
ان كل السماء غبشاء .
والفرس المبلل يصهـل ويسـرع فى
سيره الى القرية
وآنذاك يرى أمامه الـدار القـديمة
الفقيرة
وعلى عتبتهـا تقـف عجـوز تنـادى
الدجاجات المبللة
ومعها كلب له ذيل كثيف .
وتهب الريح حزينة عبر المروج السود
والخالية
وتدفع قطـع الضبـاب الكثيـف الى
السهول الندية
ويقلع الغراب صائحا ويـدور فـوق
رأسى
ان كل السماء غبشاء .

دراغوتن تاديانوفتش
DRAGUSTIN TADIJANOVIC

آخر الليل ، ليل الشتاء الابيض

فى آخر الليل ، فى ليل الشتاء الأصم
تنسج أمى كتانا أبيض

وظهرها مقوس وشعرها أشيب
منذ زمن طويل وهى مبللة بالدموع
وشريط المصباح يطول من النافذة الى باحة الدار
من أعلى الثلج النازل
فى السكوت اللانهائى ، فى السكوت اللانهائى
والملائكة من السماء بأيديها الناعمة
تنزل النجوم الباردة الى الارض
حريصة على ألا توقظ حبيبتى ..
فى آخر الليل ، فى ليل الشتاء الأبيض
تنسج أمى كتانا أبيض
يا أمى المكتئبة ماذا يلمع
فى عينيك
فى آخر الليل، فى ليل الشتاء الأبيض؟

برانسلاف بتروفتش

BRANISLAV PETROVIC

الاحتفال فى مكان البناء

بارادتك يغنى النحاس
وبرغبتك يطير الاسمنت
ورغم الموت ورغم العقل
أنت لا تستسلم
وأشكرك على ذلك .
مستعد أنت لتمارس الحب على كوم الجير
لتتفرج على طيور عالية
رغم الموت ورغم العقل
وانت بطل بلا شك
وأشكرك على ذلك
يتصاعد الدخان من الشربة فى مطعم العمال
والاغانى الغيورة تتقاتل فى الطرق
ورغم الموت ورغم العقل
تسلم أنت على الاصدقاء
وأشكرك على ذلك ..
يقطعون رأسك وقلبك يغنى
وتشرب كجندى روسى أمام قبره
ورغم الموت ورغم العقل
أنت تعبد الجمعة
وأشكرك على ذلك .
ماضيك الخشن واضرابك عن الطعام
والهواء الذى تتنفسه يفتخر بك
ورغم الموت ورغم العقل
تؤلمك الجراح
وأشكرك على ذلك .
وفى العصر الصيفى الحار
عندما زوجتك ترغب الوصال
أنت تلعب الشطرنج مع جارك
ورغم الموت ورغم العقل
أنت لا تفهم كثيرا فى الشطرنج
فأشكرك على ذلك ..
ايمانك بالخلود أكبر نقص فى عقلك
وباللانهاية أخطر مرض فى قلبك
فلا تنفق ثروتك باسراف
ولا تدفع عبثا للأطباء
لأنه على الاطلاق لا يوجد دواء

برانكو راديتشفتش

قصيدة الردى

قد اصبح الورق أصفر
بل وتناثر الى أسفل
لا ، لن أشاهد

بعد يومي الورق الازرق
فرأسي انحنى ووجهي اربد
المرض امتص عيني
يدي عاطلة ، جسدي متعب
وركبتي الضعيفة تهتز
حان الوقت لأدخل المرقد
مع السلامة يا أحلامي الجميلة
مع السلامة يا فجري مع السلامة يا
يوما رائعا
مع السلامة يا دنيا ، كنت جنة ،
لا بد من ذهابي الى عالم آخر
لو لم أكن أعشقك هذا العشق
لما زلت أتطلع الى شمسك اللامعة
وما أصغيت الى رعدك وعاصفتك
وما تلذذت بصوت بلبلك
وأعجبت بأنهارك وينابيعك
ولكن ينبوع حياتي يكاد ينتهي
يا شعري أنت وليدي، يتيمي المسكين
وانجاب سنواتي الغريرة
فكان مرادي أن أنزل قوس قزح من
السماء
لألبسك بالقزح الكثير الألوان
وأزينك بالنجوم الملتمعة
وأضيئك بأشعة الشمس
والقزح يا أسفاه ــ اندثر
والنجوم سطعت وانطفأت
وأظلمت الشميسة
و
و
وسقطت لي من السماء
وزال كل ما توقعت
ففي البلاء يتركك أبوك

آدم بوسلويتش

المحنة الخامسة

اذا ما دخلت فلن
تخرج بسهولة
اذا أخرجت عينيك
فافرح
لأني أخرجتهما دورا
ويجب ألا ننسى :
أن الظلام في
منظر وحيد ٠
أتذكرت
أن تأخذ معك حبلا ؟
الديك ولو سكين حاد في صدرك
أو أفعى في سروالك
أم تمساح صغير في علبة الكبريت
أم خطاف بين ضلوعك
أم سم قوي في أنفك
أم مسدس صغير في منديلك ٠
بالرغم من أن هذا لا يهمني ٠
انس وجهي لأنك رأيته
واسمي لأنك ناديتني
ولا تنس أن لي ست عشرة نفسا
وأنك بجلدي ملفوف ٠٠٠

ديسنكا ماكسيموفتش

أعطني نفسك

يحزنني حرائق الدم هذه
تترك وراءها أماكن الرماد
تؤلمني هذه العواصف الهادمة
أحلام ناعمة تحلمها المرأة ٠
أعطني نفسك ،

لأنى أريد أن أسبح فى الحب
الى الابد
وليترك فى كل شىء أثرا
أعطنى نفسك ،
فلحظة الفناء هذه تجعلنى صغيرة
وكذلك الاندفاعات الثائرة فى الدم
أعطنى ، أعطنى نفسك ،
من غابر الزمن ينام فى
شوق النار نحو الأزل
ينام الحب الطويل
والسمو
انى امرأة لا أحن الى
اهتمام عاشق ولهان
تتلاشى بعده النفس
انما أنا راغبة فى أن أرى
أحلاما منورة
ونشوة هذا الانسجام الغامض
التى نسميها ـ الحب

دوبرفكو ايفانتشان

فى بستان صديقى

فى بستان صديقى
ينضج الخوخ من جديد
والنحل النشيط
يطير فوق النافذة المطلة
حيث جلس هو على عادته
وهناك لا يزال المقعد
بجانب صفوف الزهور الصفراء
الزرقاء
وامرأة صغيرة وشيباء
ـ كأنها نزلت من صورة قديمة ـ
تجلس على المقعد تنسج .
لا ، لن أناديها ...
فقد تصير حزينة
عندما ترانى كبيرا
فما بقى لى غير النافذة المطلة
يطير فوقها النحل النشيط
وحيث جلس صبى منهمكا
فى الظهر الصيفى المشعشع
لا ، لن أناديه ...

تين أويفتش

الساعات فى المدينة

ليس الوقت مياها ثمينة
لا بد من اقتصادها قطرة قطرة
وهو أيضا ليس ثانية صغيرة
فى هذه الليلة تشير الساعات الى
أوقات مختلفة
كأنها اتفقت
على افتراقهن
واختلافهن
الى الابد
بالرغم من فكرة الترتيب والنظام
والحاجة الى اقتصاد الوقت .
فهن يردن خداعى
وسحرى
ولأظن انى نشوان
ولأتهادى فى سيرى .
ان الشيطان أدار ساعاتنا
فبعضنا مصاب بأمراض الكبر فيبطىء
وبعضنا يحس بالملل فيسرع
وبعضنا يحس بأنه
عفن
عفن ...

آلكسا شانتتش

أمينـــــة

بالامس حينما عدت من الحمام
مررت ببستان الشيخ الامام
بالبستان العطرى وقفت أمينة
تمسك إبريقا عند شجرة الياسمينة
يا لها من روعة وأقسم بالايمان
انها جميلة ، جديرة بحريم السلطان
وعندما أراها تمشى وكتفها تتهادى
لا يساعدنى شىء حتى تعويذة الهوى
فسلمت عليها ولكن وا حسرتاه
أمينة الجميلة تأبى أن تسمع
بل ملأت إبريقها الفضى بالماء
وبدأت تسقى الورود الحمراء
وهبت الريح من غصـون الاشجـار الظليلة
تسدل على كتفيها ضفائرها الثقيلة
فأرج شعرها أريج الزنابق الزرقاء
وبدأ فى رأسى اغراء الفتنة العمياء
ولذا كدت أتعثر ، والله العظيم ،
لأن أمينة بخلت على بنظرها الرحيم ،
بل انها التفت الى مرة فقط
ولأنى أموت من أجلها لا تقلق قط .

برانكو ميلكوفتش

سيكتب الجميع شعرا

ان الحلم حقيقة قديمة ومنسية
لا يستطيع أحد مراجعتها بعد
والآن تغنى الغربة كالبحر والهم
والشرق يقع غربا من الغرب والحركة الكاذبة أسرع
والآن تغنى الحكمـة وطيـور صبـاى المهمل
والزهرة بين الرماد والرائحة
وكذلك الذين يرفضون أن يعيشـوا بعد الحب
والعاشقان اللذان يسترجعان وقـت الهوى
والبستـان الـذى لا تعـرف الارض رائحته
والارض التى تبقى أمينة للموت
لأن الدنيا ليست وحدها التى تهتـم بها الشمس
ولكن يوما ما
حيث كان القلب ستقع الشمس
ولن يكون فى كلام الناس كلمات لا يقبلها الشعر
لان الجميع سيكتبون شعرا
والحقيقة ستحضر فى كل كلمة
وفى أجمل أبيات القصيدة
فالذى غنى الاول سينسحب
تاركا قصيدة للآخرين
وانى متفق بالفكرة الشاملة للشعـر القادم :
ان الانسان الكئيب لا يستطيـع أن يكون شاعرا
انى أقبل حكم الجمهور الناشد :
من لا يعـرف أن يسمـع فسيسمـع العاصفة
ولكن :
هل ستعرف الحرية أن تغنى
مثلما غنى العبيد بها ؟

لمحة بيوغرافية سريعة

دسنكا مكسيموفتش (1898) ـ ولدت فى احدى القرى فى جمهورية صربيا. تخرجت من كلية الفلسفة وكانت تشتغل مدرسة . انها شاعرة عواطف . وفى سنة 1924 نشر لها ديوانها الاول وكثيرا ما كانت تكتب للاطفال . وتعتبر اليوم أكبر شاعرة فى الادب اليوغسلافى .

* * *

آدم بوسلويتش (1943) ـ كان طالبا فى كلية اللغات والآداب ورئيسا للتحرير فى عدة مجلات أدبية . كون مع زملائه مدرسة أدبية اسمها « ورشة الادب » . نشر حتى الآن 3 دواوين . أما أشعاره فقد ترجمت الى الالمانية والمجرية والرومانية .

* * *

آلكسا شانتتش (1868 ـ 1924) ـ ولد فى جمهورية بوسنا وهرسك . هو شاعر الحب والوطن والانسانية . أما أسلوبه فيعتبر قويا جدا . كان يترجم من الالمانية والتشيكية .

* * *

ميلان راكتش (1876 ـ 1938) ـ شاعر العواطف . كان يعمل فى السلك الدبلوماسى . ويعتبر من بين أقوى الشعراء لغة وأسلوبا وبالرغم من أنه لم يكتب كثيرا فشعره مشهور جدا . انه شاعر التشاؤم أيضا .

* * *

تين أويفتش (1876 ـ 1938) ـ شاعر وناقد ومترجم . درس الفلسفة . نشر 8 دواوين . شاعر عهد جديد يمتاز بالحيوية ولشعره شعبية كبيرة .

* * *

دراغون تاديانوفتش (1905) ـ شاعر وناقد ومؤرخ للادب . فى شعره نجد وصف الطبيعة والحب والعواطف . أصدر عدة دواوين . وهو يترجم من الالمانية والتشيكية أيضا .

* * *

غويسلاف ايلتش (1862 ـ 1894) ـ من أسرة شعرية فقد كان أبوه شاعرا مشهورا • كان يؤمن بالجمال وعلى شعره يسيطر الحزن • كان يهاجم الرومانطقية ويميل الى نوع من السريالية ـ المعروف بالفريزام ـ أصلح عروض الشعر اليوغسلافى •

* * *

غوستف كركلتس (1899) ـ شاعر وأديب يترجم من الروسية والتشيكية والالمانية • **وهو عضو** فى المجمع العلمى • صدرت له 9 دواوين • رقيق الاسلوب • ولد فى جمهورية كرواتية •

* * *

ميركو بانيفتش (1905 ـ 1969) ـ شاعر ومناضل • اشترك فى حرب التحرير • واشترك فى تحرير عدة مجلات أدبية • صدر له 4 دواوين • انتحر اعتقادا أنه مريض بالسرطان • ولد فى جمهورية الجبل الاسود •

* * *

برانكو ميلكوفتش (1934 ـ 1969) ـ أقوى شاعر من الجيل الجديد يمتاز شعره بأفكار وجودية وفلسفية • كان طالبا فى كلية الفلسفة • انتحر خائب الأمل تحت عجلات الترام • بالرغم من انه هلك شابا • نشر 5 دواوين واحد منها ألفه سوية مع صديقه الشاعر بلاجو شجبانوفتش الذى انهى حياته فى الكارثة •

* * *

برانسلاف بتروفتش (1938) ـ اشتهر « بالشعر المنصى » مهتما قبل كل شيء بايقاع الكلمات القاصدة • انه شاعر الجيل الجديد وشاعر الحياة الجديدة التكنيكية • نشر 3 دواوين •

* * *

دوبرافكو ايفانجن (1931) ولد فى جمهورية كرواتيا • شاعر ومترجم وناقد • يعتمد على التقليد • يعتبر من بين أقوى الشعراء الذين يستعملون أبياتا قصيرة • أصدر 5 دواوين •

* * *

برانكو راديتشفتيش (1824 ـ 1852) ـ رائد الشعر الجديد وشاعر الحب والشباب وأول من بدأ يكتب باللغة الشعبية التى اختلفت كثيرا عن اللغة الاريستوقراطية • ويعتبر رومانطقيا •

اجازة اخرى خارج الشعر

شعر محمد الشابي

سأتركُ الأوراقَ ..
في مكانِها ..
وأتركُ الأفكارَ ، في
مكانِها ..
وأنتهي ، من
فكرةِ التعبيرِ ... عن
مشاعري .. وعن
مدى ...
أحزانِها ..

●

سأختفي ..
وتختفي ، معي
يدٌ ... قدْ
كنتِ تسكُنينَ ... في
وجدانِها ..
فإنَّ هذا الحبَّ ، يا
صديقتي ..
ضيَّعني ...
وأخرجَ النفسَ ..
من اتزانها ..

●

سأختفي ..
ولتبقَ ، بعدي ،
يدُكِ ...
حمامةً ، تدورُ .. في
مكانِها ..
ولْيبقَ ..
وجهُكِ ... الذي
أحببتُه ، زنبقةً ..
تموتُ ... في
ألوانِها ..
ولتبقَ ، كلُّ
زهرةٍ ، طالعةٍ ، في
ثوبِكِ ،
تبحثُ ... عن
نيسانِها ...

●

سأختفي ،
فحبُّكِ ..
أحزنني ...
وجرَّدَ الأشجارَ .. من
أغصانِها ...
أغرقني ، يا
أملي .. أغرقني ...

وأبعد البحار .. عن
شطْآنِها ...
فكيفَ ، يا
حَبيبتي ، أنجو ..
من الماءِ .. ومن
نفْسي .. ومن
أحزانِها ...

●

أمّي .. أيْن
ذهبْتِ ، يا
أملي ، وأيْن ولّى
مُنْتهى
حَنانِها ...
و"دُقّة" .. التي ، أنا
أحبّها ... وأسألُ .. في
خاطِري ، عن
شأنِها ...
قد صرتِ ، يا
صديقتي ،
أمّي .. وصرْتِ
"دقّة" ... وأجْمل
سُكّانِها ..

●

مِن بعدك ، أنا
هنا ، رسالة ...
راجعةٌ ..
تسْألُ ... عن
عنوانِها ..

م. ش

كتب وصلت الى المجلة :

◆ الدكتور مازن المبارك أستاذ علوم اللغة العربية بجامعة دمشق ، والعامل حاليا بكلية التربية بقطر أهدانا كتابين قيمين ، أحدهما بعنوان « نحو وعي لغوي » والثاني بعنوان « اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي » . فللمؤلف البحاثة شكرنا وتمنياتنا باطراد الانتاج .

«المنتمى»

قصة ، بقلم : الحبيب الغزى

①

أفاقت القرية الهاجعة على صوت مؤذنها ، فقام الشيخ سليم لأداء صلاته والاستعداد للعمل • كانت طقطقات العربات المتوجهة الى مقاطع الحجر وصياح الديكة ونباح الكلاب وضوضاء الفلاحين بمواشيهم خارج منازلهم أو فى طريقهم الى الحقول والمزارع أحب الى الشيخ من موسيقى الجاز ، والأوبرات •

— مرا •• يا مرا •• شوية ماء بش نتوضا •

واحضرت الماء فى ابريق فأخذه الشيخ ومضى متثاقلا يتوضأ

وبعد ان صلى ودعا الله ، أعد عدته وخرج مع ابنه الأصغر للعمل •

رفع عن وجهه الغطاء ونظر متمليا فى أرجاء الغرفة العتيقة ، حيث ينـام أبناء أخيه حمادى ، فأحس بجسمه ينهار ، وبأعصابه تتشنج ، وشعر أن برأسه دوارا وألما شديدا •

وعاودته ذكرى يوم السبت الاسود ، اليوم الرهيب المشهود •

ولكن لماذا هرب الى هنا ؟ ألينام حيث يشقى اخوانه ؟؟

•• وضربت سميرة فسقطت على الربوة فتدحرجت على الحصى والصخور فدمى جسمها الرقيق وتلوثت ثيابها • فرأيتها فى هذه الحالة المزرية فأسرعت وأسعفتها •

وزغردت النسوة بالجبل الاحمر ، ومضينا بين الأزقة الضيقة وأكوام المـدر جريا على الأقدام حتى وصلنا فحمدنا الله على السلامة •

وشعرت بانهيار • فتهالكت على السرير • بيد أن طيف سميرة لم يفارق مخيلتى ، فنهضت عن السرير ورفعت ستار النـافذة وحـدقت فى الجبـر الأحمر حيث تركت حلم حياتى وأمل عمرى • ففكرت فى الخروج اليهـا تـوا ولكنى أمسكت نفسى •

وفى المساء أشرقت شمس الأمل ، فذهبت لأقتبس منها نور الحياة ٠

وانتفض فوزى على صوت أمه تناديه :

ــ فوزى ٠ قم اغسل وجهك وكل هذه البيضة ٠

ــ بيضة ؟ لا يا أماه ، اتركيها لقضاء حاجة تنقصنا ٠

ــ لا يا ابنى ، أنت أولى ٠ انظر الى وجهك والى بدنك ٠ لقد ضعفت يا ولدى ٠

ــ وهل البيضة سترد الى قوة بدنى ؟؟ ٠

وخرجت عائشة المسكينة دامعة العينين بدون أن تجيب عن سؤاله المحرج ٠

وغسل فوزى وجهه ولبس ثيابه وأخذ حقيبته ٠ فجاءت أمه تودعه :

ــ حافظ على نفسك يا ولدى ٠ الوقت صعب ٠٠

ــ اطمئنى يا أماه ٠ فانا أعرف ما يصلح بى ٠

ــ نعم أعرف ذلك ٠ ولكن أولاد الشر وبنات الحرام كثيرون ٠

ــ القضية ليست كذلك يا أماه ٠ المشكلة أعمق ٠ ولكن لا يهم ٠ مع السلامة

ــ فى أمان الله يا ابنى ٠ الله يحفظك من كل سوء ٠ آمين يا رب العالمين ٠

②

أطلت المدينة الشامخة من بعيد كالأمل بأحلامه وأوهامه بأفراحه ومخاوفه ٠

وخفق قلبه بعنف وشعر بقشعريرة تسرى فى كيانه المنهوك ٠ فابتسم وسالت دمعة على خده فمسحها بيده المرتعشة وفرك عينيه واستعد للنزول ٠

ومال وطىء الارض كالمتخوف حتى وجد سميرة فى انتظاره ٠ فأشرق وجهه وغمرته فرحة عارمة ٠ تبادلا السلام بحرارة وتساءلا عن حالتيهما ثم سارا فى نهج ابن خلدون فى غبطة مشوبة بالأسى ٠

ــ أنا خائفة يا فوزى ٠

ــ أنت خائفة ؟؟ هذا الجمال الملائكى لا يمكن أن يخشى شيئا ٠

ــ أحقا تقول يا فوزى ؟ أأنا جميلة الى هذا الحد ؟؟

ـ بالطبع .

وضحك الحبيبان وواصلا السير فى أناة .

وهمس فوزى : يجب ألا تخافى يا سميرة .

ـ سأتشجع . ولكن كيف ؟

ـ كونى قوية النفس راسخة الايمان ، يتلاش عنك الخوف شيئا فشيئا .

واشتبكت الأصابع والتصق الجسمان وسال الشعر على كتف فوزى حريريا ناعما . وتوردت وجنتاها فعادت اليها الطمأنينة .

ويمسح فوزى بيده شعرها المرسل قائلا : الخوف يا سميرة علامة الجبن . ونحن اليوم نعيش فى عصر يستدعى منا ان نكون شجعانا .

وتنشغل سميرة بالنظر الى سيارة طويلة أنيقة . ويلاحظ فوزى ذلك فيصمت .

فتقول سميرة معجبة : كم هى جميلة .

ـ السيارة ؟.. بالطبع .

ألا تفكر يا فوزى فى شراء سيارة ؟؟

ـ وأنت ؟

ـ بكل تأكيد .

ـ وتفكرين فى بناء فيلا أيضا ؟ بالطبع .

ـ وهو كذلك . وأنت ؟

ـ هذا أمر طبيعى يفكر فيه كل شاب وفتاة . ولكنى أخشى أن أصبح مترفا فأنسى واجبى .

ـ وهل بناء فيلا وشراء سيارة يعتبر ترفا ؟

ـ قد لا يعتبران ترفا ، ولكنهما يؤديان اليه حتما .

ـ تعنى أن صاحب السيارة والفيلا يغتر بكونه برجوازيا ؟

ـ أجل .

ـ أنا لا أعتقد ان رجال الغد سيشعرون مثل هذا الشعور الأثيم .

ـ أنت متفائلة كثيرا يا آنسة سميرة ٠ انك تبنين القصور فى أسبانيا كما يقول المثل ٠

ـ ولماذا نظلم الشباب ونسيىء فيه النية والظن ؟٠

ـ ألا ترين أن الكثير منهم ـ من أصحاب المبادىء كما يزعمون ـ قد تنكروا لمبادئهم بمجرد دخولهم ميدان العمل ؟ انهم ينافقون ٠ وليس أشد على النفس من النفاق ٠ وأمة فتية ضعيفة لا ترتقى قيد أنملة ما دام الشباب ينافق ويقدم مصالحه الخاصة على مصالح الشعب ٠

ـ هذا صحيح ولكن ينبغى أن نؤمن بالشباب ٠

ـ والرياضة أيضا ٠

ـ وما دخل الرياضة فى نهضة الشباب ؟

ـ الرياضة يا سميرة هى التى خدرت شبابنا فهاموا بها ومضوا سكارى يلعبون ٠

ـ هنا اخطئك يا فوزى ٠ الرياضة من أوكد وسائل الرقى ٠ ولا رقى فى أمة بدون رياضة ٠

ـ أجاريك فى رأيك ٠ ولكن ألا ترين ان الشباب التونسى خاصة والعربى عامة قد انشغلوا بالرياضة عن واجباتهم ٠٠ ؟

ـ كيف ؟ ليس هذا صحيحا أيضا ٠ لأن الرياضة هواية ، والهواية بعد الواجب لا قبل العمل ولا على حسابه ٠

ـ أريد أن أقول ان الشباب قد شغلته الهوايات عن التفكير فى مصيره ٠ فأصبحت الرياضة اذن مخدرة للشعوب ٠ وكثيرا ما تتخذ الرياضة وسيلة لوأد الضمائر الحية ، وللاختلاء بالمصالح العامة ٠

ـ أنا أوافقك على هذا ، ولربما كان السبب هو كرهك لها ٠ فأنت لا تهواها ولا تمارسها ٠ بل انك لتضيق عندما احدثك عن « عتوقة » فتسخر من اسمه لا من شخصه لأنه أعظم من أن يصبح محل سخرية وازدراء ولعمرى أن هذا لهو الغرور بعينه ٠

ـ قليلا من الاتزان يا سميرة ٠ لا تجعلى العاطفة تتحكم فيك ٠

ـ اطمئن ٠ انا لست غضبى وانما أعاتبك ٠

ـ وهذه الدماء التى صعدت الى وجهك ؟

ـ هى دماء الشباب تفور لتعلن وجودى .

ـ الله ، الله عليك . حقا انك لسميرة الحياة .

فهمست مبتسمة فى رقة وعذوبة : أنت تبالغ يا فوزى .

ـ كلا يا سميرة . ان اسمك لاحلى من غناء العندليب وأغلى ما نادى به الحبيب

ـ أصحيح ما تقول يا فوزى ؟

ـ وهل تعشق الا الشمس ؟

ـ الشمس .. نعم يا فوزى . الشمس هى التى ينبغى أن تعشق . وسنقتبس منها النور .. وسنسير فى دربنا يبارك الحب مسعانا .

ـ وسنعلنها حربا فكرية بين عقل وعقل . قبل ان نعلنها حربا وجدانية بين قلب وقلب .

ـ وأيهما أدوم وأنجح ؟

ـ اسأل نفسك ؟

ـ الروح لا تعرف الحروب .

ـ الروح فى عصرنا لا قيمة لها . القيمة للمادة والقوة .

ـ وهذه هى المأساة .

ـ وهل يمكن لنا أن نخلص الروح من وضر المادة ؟

المارة يكثرون شيئا فشيئا . الضجيج يعلو مع أزيز السيارات .. وجوه ناضرة ووجوه كالحة . أيد تمتد فى استعطاف .. أفواه جائعة أعناق مشرئبة .. الكل دائب يسعى .

والتفتت سميرة الى فوزى قائلة : انظر اليهم . لقد فقدوا الحياء وفقدوا الروح . لقد اصبحوا اجسادا عارية مجردة تبحث عن أجساد تأمن اليها ، ولا أمن .

ـ وهل تعرفين السبب ؟ ـ السبب هو سيطرة المادة عليهم بلا ريب فهم لا

يرون الا المال ، ولا يسمعون الا الحديث عن المال ولا يكتبون الا عن المال ٠ المال أصبح كل شيء في حياتهم ٠

فقالت سميرة في مرارة : صحيح ٠٠ ولكن ٠٠٠

ودخلا دار ابن خلدون ، وراحا يتأملان المعلقات والصور والعروض السينمائية فاشتريا تذكرتين ، ثم خرجا واستمرا في طريقهما الى مقهى باريس ٠

③

لم ينم فوزي هذه الليلة الا غرارا ٠ فقد كان مبلبل الفكر متأزم النفس كثير التصورات والاوهام والمخاوف ٠ وعاودته ذكرى لقاء الامس غير المنتظر ، وما دار بينهما من حديث ٠ واستعرض أحداث الفيلم العجيب الذي أثار فيه دفائن أحزانه ٠٠ واستحضر مشاهد البؤس في العاصمة وخارجها وقارن بينها وبين مشاهد البذخ والنعيم في المجتمعات الغربية التي تعيش في ظلال الحرية والديمقراطية فآلمه ما عليه الشعب من بؤس وشقاء في بلاد مستقلة ذات سيادة وذات شخصية ٠

وظل هذا السؤال الخطير يراوده طوال الليل : متى يعي الشعب فيثور فيقرر مصيره ؟

انه يعرف حق المعرفة أن توعية الشعب تستدعي زمنا طويلا وعصيبا ٠ فشباب اليوم يعوزه شيء من التروي ٠ فهو متفتح لا شك في ذلك ٠ ولكن ما زال البعض منا يندفع مع التيار دون ما تفكير ولا محاولة تفهم للاسباب والمسببات الجوهرية ٠ انه لينقصهم العقل الناقد الممحص ٠ وهذه هي العقبة الكبرى ٠ بل الادهى في الامر هو ان هذه الحالة ليست خاصة مقتصرة على شبابنا فحسب بل هي ظاهرة عامة تشمل كل الشعوب العربية ٠

وتقلب في الفراش وحاول ان يتناسى تيار تفكيره ٠ ولكنه لم يستطع ٠ وخطرت بباله صورة الفلاحين في قريته ٠ وهم يسعون الى العمل في جد وايمان ساذج فلا يتحصلون على قوت يومهم ٠ وحز في نفسه ما عليه شباب قريته من خمول وسلبية ازاء قريتهم وازاء اناسها المغلوبين على أمرهم ٠ فقد استبد بعضهم بآرائهم حتى في ميدان الفكر والثقافة ٠

وزاد في آلامه تلك القصور الباذخة القائمة في انحاء البلاد وتلك الاموال

الطائلة التى تنفق فى اللذة وفى أعراض الدنيا بينما يعيش السواد الأعظم من الشعب فى فقر مدقع ·

وردد فى حقد ونقمة مريرين : النفاق ·· النفاق ·· الحياة كلها نفاق ·

وتساءل فى كمد ومرارة : ألم يبق فيهم قبس من نور الضمير ؟ لقد أفلس الضمير وأفلست الروح ·· وقال فى جرأة وايمان : « ينبغى أن نتجند نحن الشباب لمداواة هذه الضمائر المريضة ·· » ولكن سرعان ما عاد الى تشاؤمه فتساءل · « ولكن ·· هل فقدت الانسانية العقل ؟ وهل فقدت الضمير ؟· » الواقع أنها أصبحت تعى بعض الشىء وتشعر بأنها تعيش فى برجها العالى فتوجست خيفة اثر هذه الاضطرابات ·· فعادت الى نفسها تحاسبها الى حين· ولكن سرعان ما تتغلب عليها نزعه الشر · فتعـود الـى النفـاق والاستغـلال والاسراف · فالحوار اذن كفيل بان يبث الوعى كل الوعى فـى هذه النفـوس المريضة · اذ كلما ازداد الشباب اتصالا بها واكتشافا لمواطـن الـداء ازدادت تحذرا وتنبها وتداركا للاخطاء حتى لا تنكشف الاسرار وتصبح عارية مفتضحة امام الجميع الذين ائتمنوها ·

وانتفض فى فراشه إذ شعر بأن كابوسا قد رفع عنه ، فأحس بأجفانه تثقل فاستسلم للنوم ·

④

التقت سميرة وحميدة صديقتها به «بالبساج» بعد الزوال فتبادلوا التحية واتجهوا نحو شارع الحبيب بورقيبة متجاذبين أطـرف الأحاديـث الغراميـة والسياسية ·· وما ان دخلوا الشارع حتى فوجئوا بالبوليس يختطف كل من دلت هيئته على أنه طالب او طالبة فكان فوزى من جملة المختطفين بينما هربت سميرة وحميدة · غير أن فوزى لم يوقف بل أطلق سراحه فخرج من المركـز مستبشرا يحمد الله على السلامة · وتذكر سميرة وحميدة فأسرع الى المكان الذى اختطف فيه فلم يجدهما · فتوقع الخطر وتوجس خيفة عليهما وخاصة على سميرة حبيبته وحلم حياته · وشعر بقشعريرة تسرى فى كيانه · واستأثر به الأسى حتى ضاقت به الدنيا وأصبح يعيش فى دوامة من الأفكار والهواجس · وأصبح لا يتقدم ولا يتأخر · أين عساهما تكونان ؟ أفى الشمال أم فى الجنوب فى الشرق أم فى الغرب ؟ وسار على غير منهج مفكرا ثائرا حاقدا ناقما · الناس يسيرون فى صمت متلفتين يمنة ويسرة · البوليس عابس الوجه يكاد ينفجر كالقنبلة على المارة · انه يعيش أزمة وجودية هو الآخر · لقد مل المجتمع هـذه

الحياة حياة الخوف من الحاضر ومن المستقبل • وراح فوزى يبحث عن سميرة وحميدة • أخذ يتأمل المارة ويفحصهم واحدا واحدا •• فيزدادون تخوفا وهوسا• وسار مع هؤلاء المتسللين والقلب يخفق بعنف والعقل تائه يؤول تأويلا •

وشعر بلهيب فى وجهه وأحس بأذنيه تؤذيانه فتحسسهما بيده اليمنى ثم وضع راحته على جبينه السخن كالمرجل • وطال البحث وطال الانتظار حتى دبت فى العاصمة وحشة كوحشة القبور • فازدادت حيرته وخوفه وأمعن قلبه فى الخفقان • فعاد الى الحى متعثر الخطى ممزق النفس مدحور الآمال تراوده آلاف الخواطر والاوهام وتعذبه شتى الاحزان والآلام • فلم يتعش هذه الليلة ولم يحتل للتحصيل على العشاء مجانا ، فبات ليلته فى أرق وأوهام ومخاوف رهيبة •

⑤

أما سميرة وحميدة فقد اختفتا فى أحدى العمارات بالعاصمة• ولكنهما ما كادتا تخرجان منها فى هرع حتى وجدتا البوليس فى انتظارهما • بيد أنه أشفق عليهما وحز فيه أن يسمع سميرة ــ الفتاة الجميلة ــ تبكى فعفا عنهما على ألا تشاركا مرة أخرى فى اثارة الشعب فى المجتمع والبلبلة فى الافكار •

وفى الغد أصدر قرار رسمى مذاع بغلق كليتى الآداب والحقوق •• فكانت صدمة شديدة زادت الحالة توترا والازمة تعقدا • فماذا يصنع فوزى المسكين ؟ أيبقى فى العاصمة مشردا يجوب الشوارع والانهج بلا أمل بلا مال بلا قوة ؟ وهل يتسنى له ذلك فى هذه الظروف العصيبة ؟ أم يرجع الى أبيه وأمه ليشاركهما مأساة الوجود ؟ فأبوه شيخ قد بدن • وهو يعمل ليل نهار • يفلح الأرض ويظفر المعالف والقفاف لبيعها وانقاذ العائلة من المجاعة • العائلة كبيرة مرهقة والانتاج الفلاحى لا يسد حاجياتها • لقد أثقلت الديون كاهل الأب المسكين الذى باع كل شبر عزيز عليه من أجل ابنه فوزى واخوته الصغار •

ــ الأرض لا تنفعنا ياامرأة • المهم أن يصبحوا رجالا لا عالة علينا وعلى الناس ••

وتزداد مأساة فوزى بمرض شقيقه الأكبر عضد أبيه ومواسيه فبقى الأب يعمل وحده مع ابنه الأصغر الذى أخرجه مكرها من المدرسة •

ولما شعر حمادى ببعض التحسن فى حالته وجد نفسه مضطرا للعمل • فأبوه لا يستطيع مواجهة هذا العام المطر •

ولم يكفه سوء الوضع العائلي فقد انقطعت عنه المنحة هذا العام فوجد نفسه في أزمة شديدة • لقد أدمى قدميه جريا بين الادارات والمؤسسات والمكاتب سعيا وراء وظيفة متواضعة تخول له أن يواصل الدراسة في أحسن الظروف •

فتمزق الحذاء وتهرأ النعل بالذهاب والاياب وتحضير الاوراق المطلوبة دونما جدوى • وغار الثقب في أحد زوجي النعل ، وابيض سرواله الاوحد وتقطع وافتضح أمره فأصبح كلما جلس في مقهى مضطرا يحاول جهده أن يخفي ساقيه تحت الطاولة لئلا يرى الجلساء المحترمون ذلك الثقب الهائل في النعل والثقب الآخر في السروال • أما اذا خرج من المقهى فانه يحمد الله ويمضي يغذ في السير كالعادة حتى لا يلاحظ المارة تلك الثقب المخزية •

وكاتب صديقه الذي توظف العام الفارط وكاتب ابن اخته وشقيقه العريف • ولكنه لم يتصل منهم حتى بمجرد الرد عن رسائله التي يعلم الله كيف تحصل على معلوم طوابعها وظروفها وأوراقها التي اقتناها من الطراز الانيق احتراما لشأنهم ••

أما الاكل •• فهناك المشكلة • فالتذكرة بمائة مليم بالنسبة الى الوجبة الواحدة وفي اليوم يتناول وجبتين : الغداء والعشاء • فمن اين يأتي بمائتي مليم ؟ أبواب الرزق مقلقة دونه والأموال محتكرة • انه ليشعر بأن شخصيته تذوب وهو يمد يده في خجل الى صحن فارغ في المطعم الجامعي لينظفه من الفضلات ملتمسا في حياء يندى له الجبين ــ شيئا من المرق ومن المقرونة أو الكسكس مجانا • فتظل الانظار تحدق فيه فيشعر بذوبان شخصيته ويستبد به الألم والحزن فيلمحه أحد الطلبة يمسح ما علق في الصحن الفارغ من الادم والفضلات فيشفق عليه ويقترب منه بصحنه الفاخر الشهي المترجرج طالبا منه مشاركته في الاكل • فيستجيب له شاكرا باسم الثغر في مرارة دامع العينين في انكسار • فتخفي نظارته السوداء دموعه المترقرقة على خديه المحمرين خجلا وغضاضة • وهل يليق به البكاء وهو شاب يافع وطالب ممتاز ؟

ولكن هو الفقر وظلم السادة الاثرياء •• وثارت ثائرته : لماذا فقدت الرحمة ؟ هل مات الضمير ؟ وينظر حوله في يأس وتمزق فلا يرى الا الافواه الجائعة والايدي الممتدة والاجسام الملقاة على الطريق مستعطفة ولا عطف • ويرى الى جانب هذا مظاهر الاسراف والترف ، فيصيح باكيا في يأس ومرارة :

ــ أعيني ! عذاب ــ ونفسي انفجار ــ وقلبي دماء تسيل ونار ــ أنفسي ! تريد انمحاق الزمان وسحق المكان ــ وقلبي الكسير ــ يحدق في الكائنات

الحيارى ـ بطرف حسير ودمع غزير على الخد جار ـ والمس عطفا بأعماق نفسي ـ وعمق جفوني ـ وأرجاء غزة ٠٠ في كل دار ـ فارتد ٠٠ كل تبكي حيالي ـ وكل على وشك الانفجار ـ الهي عبادك لم يحرموني ـ وانكرني العطف والانكسار ـ وتهت بدربي ـ بدربي الطويل أنقب عن ذاتي ٠٠ عن كل بار ـ والمس عطفا بأعماق نفسي ـ وعمق جفوني ـ وأرجاء غزة ٠٠ في كل دار ـ فأرتد كل تبكي حيالي ـ وكل على وشك الانفجار ٠ سأنتقم ـ يا الهي ٠ سأغدو ـ بذي الكون رعدا ٠٠ شواظا ٠ نابالم ٠٠ سأنتقم من جميع العباد ـ وأحيا عظيما كشم الجبال ٠

وأنشد في قنوط : خلا الكون من كل خير وعدل ـ ومن كل عطف يضمد جرحا ـ ويرفع صرحا ـ لحضن الأماني ـ وحفظ النفوس التي قد عبدت ـ أأنت الهي وراء السماء ؟ وخلف الطبيعة ؟ فقد قالوا : انك في كل حدب ـ وفي كل قلب ـ فما لنا يا رب نشقى ونرفت ؟؟ بمشرقنا الغالي ظلما فنصمت ؟ وتزهق روح السلام بحيفا ؟ ويئدنا العبد ظلما وعسفا ؟ ألا أين إلهي أنت ؟؟

⑥

ومن الله على فوزي وعلى الأشقياء مثله بفتح الكليتين ٠ فعاد الى دروسه وهو يغلي حقدا ويتمزق ألما وحزنا ٠ وعاد الى مسرحيته الرتيبة المقيتة القاتلة وهو عاقد العزم على الانتقام والاقتصاص متمثلا بقوله تعالى : « **ولكم في القصاص حياة** » ٠ بيد انه سرعان ما ثاب الى رشده وتمسك بمبدئه في الحياة ٠

لقد ادرك بعد أن حنكته التجارب وهو بعد شاب يافع ـ أن في الانعزال والانكماش تقوية لشوكة العدو وأن في الاتصال والحوار اصلاحا للحال وتهذيبا للنفوس المائعة وانارة للقلوب والبصائر التي لا تبصر النور او لا تريد ابصاره ، حفاظا على ماهي عليه ورغبة في الاستئثار بكل شيء ٠

وحز في نفسه أن يسمع اخوانه ينتقدونه ويستخفون به ٠ وليس أقسى على النفس من سخرية الصديق أو القريب ٠

وعيل صبر سميرة وضاقت من الهمز واللمز والقيل والقال وكثرة السؤال فحاولت أن تقنعهم ٠ ولكن بدون جدوى ٠ ففوزي في نظر زملائه قد تنكر لمبادئه ٠ لقد كان ثائرا من الثائرين فأوقف من أجل ذلك وسجن ٠ أما اليوم فقد أصبح ٠٠ « منافقا » ٠٠ من المنافقين ، ومضللا من المضللين ٠٠

ـ شخصيتنا يا فوزى · شخصيتنا ومصيرنا ؟
ـ نحن نفرض شخصيتنا بأعمالنا لا بمجاراة هؤلاء المغترين ·
ـ لا يا فوزى · اننا لنفقد قيمتنا كلما استمررنا على هذه الحالة ·
ـ أبدا يا سميرة · ستبدى لك الايام ما كان خافيا ·
ـ ولكن ينبغى أن نبدأ باصلاح أنفسنا قبل أن نكلفها باصلاح حالة الآخرين ·
ـ معك حق ·
ـ وأى شىء تريد اصلاحه ؟
ـ العقلية ·· النفس ·· الروح ··
ـ العقلية الجماهيرية فى تفتح وتبصر ·
ـ أنت تنظرين الى رجليك ولذا فلا يمكن لك أن تبصرى ما فى الآفاق ·
ـ وأى شى فى الآفاق ؟
ـ شمس تكاد تموت خلف سحاب متراكم ·
ـ لا خير فى شمس تعيش مع الأموات ·
ـ ولا خير فيمن لا يمزق سحف الظلماء لينقذ شمس الوجود من مقبرة الأموات ·

وأطرقت سميرة ثم رفعت رأسها وقالت :
ـ ألا ترى يا فوزى أن الفلسفة لا تجدى ان توجهنا بها الى الجماهير ؟
ـ ولكن لكل مقام مقال !
ـ وكيف يمكن لنا أن نصلح الحال التى نحن عليها بالفلسفة ؟
ـ ولماذا تتخذ الفلسفة سلاحا ؟
ـ اسأل نفسك ؟
ـ الفلسفة هى لغة العقول ·
ـ ولكن هناك قلوب أيضا تحتاج الى النور ؟
ـ النور فى العقل ·
ـ العقل ذو حدين ·
ـ أعنى العقل المتزن ··

ـ هيهات ٠
ـ لماذا ؟
ـ نحن نعيش فى عصر السرعة ٠٠
ـ وفى عصر نفسيات وشعوب ٠
ـ لقد شلت النفسيات ٠٠ والشعوب تعوزها قلوب رحيمة عطوفة ٠
ـ تعوزها قبل كل شيء : عقول نيرة مفكرة ، فاحصة ، ناقدة فى اتزان وتحفظ
ـ أنت تطلب المستحيل ٠
ـ لم يعد شيء مستحيلا ٠
ـ أنت شديد التفاؤل ٠
ـ وهل هناك أحلى من التفاؤل ؟
ـ ولكن لنكن واقعيين ؟
ـ الواقع يحتم علينا أن نمنطقه والا جرفنا التيار ٠
ـ ومن لك بهذا ؟
ـ الارادة ٠
ـ الارادة هى أن نكون أحرارا فى هذا الواقع المزرى ؟
ـ أجل ٠٠ طالما كنا متعقلين ٠ ومتى جعلنا العاطفة منطقنا وأدنا فينا هذه الحرية الفكرية ٠
ـ ولكن القدر جائر ؟
ـ العقل أقوى من الجور ٠
ـ والمجتمع ٠٠ انه يموت ٠
ـ الموت فى الجمود ٠
ـ والروح تحتضر ٠
ـ لا روح لمن لا عقل له ، ولا عقل لمن لا دين له ٠
ـ لله ما أقسى الوجـود ٠
ـ القساوة تخلق الشعوب ٠

وسكتت سميرة ، فسكت فوزى فران الصمت ٠ ومضيا ينشدان الراحة فى حديقة البلفدير ٠

⑦

نام فوزى هذه الليلة هانىء البال مطمئن الضمير حالما أحلاما لذيذة محفوفة بالورد والياسمين ٠

أفاق فى الصباح غسل وجهه واتجه مسرعا نحو المحطة ٠

بيد أنه لم يجد سميرة فى « الهول » كما اتفقا ٠ فانتظرها هناك متلهيا بالحديث مع زملائه ٠ فطال الانتظار ٠ وفات أوان الدخول الى القسم ٠ فحار فى أمره ٠ وتساءل عن سبب تأخرها عن الموعد ٠ أخذ اليأس يدب فيه وشعر بقلبه يخفق بشدة فأزمع على أن يذهب اليها فى الحى فقد تكون مريضة ٠ فترجل اليها ثم ركب الحافلة وطارت به الى باردو ٠

اتصل بمدير الحى وطلب منه أن يبعث احدى العاملات بالحى الى بيت عدد (٠) ففعل ٠

وبعد برهة عادت ولكن دون جدوى ٠ وخرج فوزى حيران ذاهلا تراوده آلاف الهواجس ٠ وبينما هو واقف فى الطريق المعبد تائه النظرات اذ بها تناديه ٠ فانتبه من ذهوله ونظر باحثا ٠ فاذا هى سميرة موفورة الصحة ، فاشرق وجهه وأحس باطمئنان ٠ وحدق فى وجهها فاذا هى فى حالة غير اعتيادية ٠ فسقط قلبه بين ضلوعه وأحس بجسمه يتهاوى وبنفسه تضطرب اضطرابا لا يدرى مأتاه ، فبادرها قائلا مرتجفا :

ـ سميرة ٠٠ ماذا ؟

ـ فوزى ٠٠

ـ ماذا ؟ تكلمى ؟ افصحى أرجوك ؟

ـ أنت يا فوزى ٠٠

ـ وبعد ؟٠٠ ماذا وقع ؟

ـ أرجو أن تعذرنى ٠٠ فانا ٠٠

ـ افصحى ؟ ٠٠ افصحى أرجوك ٠٠ أرجوك يا سميرة ؟ ٠٠ انى أكاد أخرج من جلدى ٠

ـ لقد ٠٠ أوه ٠٠ لا أستطيع ٠٠ لا أستطيع ٠٠

ـ أرجوك يا سميرة ٠٠ لا تعذبينى ؟٠٠ قولى الحقيقة ؟ ما هو السر ؟٠٠

ـ ٠٠ كلنا ٠٠ يا فوزى ٠٠

ـ أبى مـات ؟؟ ٠٠

ـ أجل يا فوزى ٠

وما كادت تنهى كلمتها حتى أغمى عليه فتلقفته سميرة فى جزع وحضنته بكل ما أوتيت من قوة وشجاعة ٠ ونظرت حولها ونادت بأعلى صوتها : تاكسى ٠ فوقفت غير بعيدة عنها ثم اقتربت وخرج السائق وأركباه ومضت السيارة الى المستشفى تطوى الارض طيا ٠

أدخل فوزى القسم الاستعجالى فأجرى عليه فحص طبى ثم حمل الى سريره المخصص ٠

انتظرت سميرة على حافة سريره قليلا ثم اخذت ورقة من محفظتها وكتبت له رسالة تطمئنه فيها وتعلمه بالذهاب الى أهله لاعانتهم فى جهاز الميت وأخذ العدة لدفنه ٠

فلما أفاق فوزى نظر حوله باستغراب وحيرة فوجد نفسه فى قاعـة غريبـة وأمامه امرأة غريبة ، باسمة الثغر ، ضاحكة الوجه بيضاء الثياب ، فبادرته قائلة فى رقة وحنان :

ـ كيف حالك الآن ؟

غير أن فوزى سرعان ما اصطدم بالواقع المرير فثارت ثائرته وصاح :

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ مستحيل ٠٠ مستحيل ٠٠ أبى لم يمت ٠٠ أبى مـا زال حيا ٠٠ وسميرة ؟ أين أنت ؟٠٠ أبـى ؟ لا ٠٠ لم يمت ٠٠ أنت ؟ ابتعـدى عنى ؟ ابتعدى عنى ؟٠٠

ـ لا تجزع يا أخى ٠٠ اطمئن أرجوك ٠٠ أنا جئت لأرعاك ٠

ـ ترعانى ؟؟ لماذا ؟ وأبى ؟ أين أبى ؟

ـ أبوك ؟ هو غائب الآن ٠ ولكن قليلا من الصبر ؟

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ أبى مات ٠٠ نعم أبى مات ٠٠ آى ٠٠ ماذا فعلت يا إلهى ؟؟

وانفجر باكيا فى مرارة ٠

فحاولت الممرضة اسكاته ، ولكنه ازداد عويلا • فمضت وجاءت بحقنة فحقنته وناولته ، بعد أخذ ورد ، قليلا من الدواء فلم يشعر فوزى إلا وأجفانه المقرحة تثقل وتطبق والنوم يستأثر به استئثارا •

وصلت سميرةالى مسقط رأسه ، فوجدت أهله في أزمة مالية وحيرة شديدة ، فأسعفتهم ببعض المال • وعادت حالا الى المستشفى • وحاولت أن تنسيه المأساة بشتى الوسائل • ولكن فوزى لم يستطع • فالمأساة أقوى من أن تتحمل •

وظلت تتردد عليه وتواسيه وتبعث فيه نور الامل ، حتى اطمأن بعض الشيء وشعر بحالته تتحسن،فطلب من الطبيب أن يغادر المستشفى فسمح له بعد أن أوصاه بالحاح ألا يرهق نفسه والا يجزع • وطلب من سميرة أن توصى أهله وخاصة أمه أن يستقبلوه كالعادة بابتهاج • فتم كل شيء على أحسن ما يرام ••

واستأنف فوزى معركة الحياة بقلب جريح ونفس ممزقة • فوجد سميرة فى طريقه نورا يشع ويهديه سواء السبيل ، فأحس بالهدوء • فعاد اليه ايمانه وتفاؤله وعادت اليه ثورته ونقمته على الاموات والاحياء • وعاودته الذكريات الاليمة فى الحى الجامعى حيث كان يريق ماء وجهه للتحصيل على الغداء والعشاء • وتذكر أعماله الطيبة مع أصدقائه ــ أحب أصدقائه وأخلصهم فى نظره ــ وما كان منهم من تنكر للعهود وابتعادهم عنه فى أعصب الظروف واقساها •

لقد كان يعيش مع صديقه الهادى فى معهد نابل عيشة الكفاف بل عيشة الدون والذل • فكانا اذا خرجا يوم الأحد من المبيت يشتركان فى شراء الحمص ليقضماه قضاء للوقت • فمرة يشترى صديقه الهادى بخمس مليمات وأخرى فوزى • وفى بعض الأحيان عندما تفرغ الجيوب ، تدعوهما الضرورة الى الاشتراك فى كاس حمص بينما كان زملاؤهما أبناء الاثرياء يعيشون فى ترف ورخاء ، فيذهبون الى السينما ويدخلون حوانيت المرطبات والحلويات والمبردات ليقتنوا ما طاب لهم • ثم يذهبون الى المقاهى او الملاعب الرياضية والمراقص بالعاصمة أحيانا • فى حين كانا هما يكتفيان بكأس حمص ويظلان يتجولان فى صبر وايمان • أما اليوم فأين الهادى ؟؟

تقدم مع فوزى وسميرة الى امتحان الباكالوريا فنجح فوزى وسميرة وأخفق الهادى • فحز فيه ما أصبح عليه صديقه المسكين بل أخوه الوفى المخلص • فقرر أن يسعفه ببعض الحوالات البريدية فى موفى كل ثلاثة أشهر • وبسط

فوزى يديه كل البسط حتى أصبح هو كل شيء ، فاغتر المسكين غير حاسب للعواقب حسابها ٠ حتى اذا حم القضاء بفشله انفض الجميع من حوله ، فوجد نفسه مشردا يتخبط وحده فى مأساته الوجودية ٠

وسمع عن سميرة أشياء وأشياء ولاحظ هو انحرافها ٠ فاحتمل كاظما وواصل الجهاد ٠

وبحث عمن يحمل روحه فلم يجد الا شياطين الشر والذئاب تتعاوى فى مجتمع منهوك ٠ فضاقت نفسه بهذا الوضع وازدادت نقمته على الاحياء ، ولكنه لم يجد الا الصمت ثم تساءل ذات مرة :

ـ أليس الشر هو أن ننتحر فى مجتمع يبحث عمن ينقذه وينتشله من الضياع والظلام ؟

ولكن ٠٠ سأنتقم ٠٠ سأنتقم لاريح الوجود من الشر لتتفجر الارض خيرا وعدلا ٠ وأنا ؟ من أنا ؟ هل أنا برىء من الشر ؟ ولكن أنا شرير أيضا ؟٠٠

هل أنا برىء من الشر ؟

الناس كلهم أشرار ٠٠ لقد ولدتنا أمهاتنا أشقياء وسنموت أشقياء ٠ وفى هذا الشقاء ظلمنا وظلمنا تعلقا بالحياة وحبا للذة فيها ٠ ولكن ماذا صنعت حتى أولد شقيا وأعيش شقيا كما مات أبى المسكين ؟

فهل أنا اذن شرير منافق ؟

لست أدرى ٠٠

الشرير هو الذى ولدته أمه غنيا بورجوازيا ، فأراد أن ينفرد بغناه وان يستبد ويظلم حفاظا على منصبه الذى اغتصبه اغتصابا بحد السيف وبالنميمة والدس والتملق ٠

ليتنى أستطيع ٠٠ فامحق العالم محقا لأنقذ الانسانية من الشر ٠٠ ولكن أنا ؟ ٠٠ من أنا ؟ أنا حلم الضعفاء ، وكلمة الحق تجلجل فى آذان الجبابرة ٠ أنا سر من أسرار الخلود ٠ ولكن يقظة الحس ستعلن وجودى وستكشف حقيقتى ، ليتنى أحيا حلما أبديا حتى أذوق لذة الخلود ٠٠ فالحلم حقيقة الضعفاء٠٠ واليقظة هى الوعى ومتى عشت الحلم طمعت فى اليقظة ، اذ لأمر ما جعل الله الحياة حلما لنخلق نحن يقظتنا ٠٠

وسميرة ٠٠

لقد أصبحت هي الاخرى شريرة ٠٠ أنا لا اقبل الاشفاق والعطف ٠ أنا قلب يريد أن يحب وعقل يريد أن يعيش حرا في عالم اليقظة ٠ أما سميرة فليست كذلك ٠٠ انها تضحك لي ، ولكنها تنافق ٠٠ انها لا تحبني ٠٠ ولعلها تريد الانتقام مني ٠

الشر ٠٠ سأسحق الشر ٠٠ سحقا ٠٠ لن أتردد ٠٠ الشر مأساة الوجود في قلبي الكليم ٠٠ الشر عذاب ينخر القلب والضمير ٠٠ الشر كفر ، قتل الايمان في القلوب الضعيفة ، والطمأنينة في النفوس السمحاء والطيبة في قلوب الأبرياء ٠٠ سألاحق الشر اينما وجد لأحقق السلام وأبعث السعادة الابدية في قلوب الأشقياء ٠٠

وسار في الطريق ٠٠ هذا مجرم اتخمته حياة الترف فحمل الدنيا في بطنه المفضوحة٠آه٠٠لو كان لي سيف٠٠لو كان لي أي شيء أمزق به هذه البطون المتخمة البطرة التي خلقت الشر ٠٠ آه لو كان في استطاعتي أن أدمر وأخرب لأخلق الحياة من عدم فالحياة غير جديرة بأن تعاش ٠٠ ومن أدراني ؟ فلعل سميرة تتنكر هي الاخرى ؟ فالثقة قد افتقدت في هذا العالم الشرير ٠ ولكن ، من خلق الشر ؟ المستضعفون في الأرض ؟ انهم لا يعرفون كيف يجرمون ٠ انهم يخبطون خبط عشواء ٠ الجبابرة ؟ انهم يعرفون كيف يسفكون دماء الاشقياء٠ انهم لا يفهمون الا بلغة الرصاص ٠٠

الناس ٠٠ آه من الناس ٠٠ الناس قتلوني ومزقوني وعاثوا في كما شاؤوا وارادوا ٠٠ هذا ظلم يا الهي ٠٠ ماذا صنعت حتى أجازى بالقتل ؟ سأمشي في طريقي ، وسأظل احب الناس لانهم قتلوني بغير حق ٠٠ بل لعلهم محقون في ذلك ٠٠ فأنا أشك حتى في نفسي ٠٠ الناس وأنا شيء واحد ٠٠ كلنا آتون من الرحم ، أصلنا شرير ، وكلنا أشرار ٠٠ الدنيا كلها شر وشقاء ولوم وعبث ونفاق ٠٠ سأمشي في طريقي حاملا المشعل ، ولكن سينطفيء المشعل ٠٠ سأصمد رغم الظلمات ٠٠ سأتحمل الشر لأسحقه سحقا وأخلق الحياة ٠٠ سأحطم كل ما يعترضني ٠٠ سأمزق هذه البطون المتخمة ٠٠ فانا جوعان ونعلي مهترىء وثيابي المبيضة المثقوبة تجعلني أعيش شقيا يشار اليه بالبنان : هذا شقي رقم كذا ٠٠ ولكن ، هل أنا أعيش وحيدا في شقائي وفي مذلتي في ثورتي وحقدي ؟ هل كل الناس يتصلون على الغداء والعشاء بالحيل التي يندى لها الجبين مثلي ؟؟

وأمر فى الطريق حثيث الخطى فاسمع الناس ينادون ساخرين ضاحكين : يا شقى ؟ يا تعس ؟ فأصمت ، وأحمل مأساتى الوجودية مبتسما ابتسامة مريرة • فتثور ثائرتى وأتوجه اليهم أقذف الحمم والصواعق ، ولكن فى صمت • اننى لا استطيع الجهر بذلك • فتبقى الكلمات فى أعماقى كالبركان ••

وخرجت ذات يوم كعادتى من الكلية ذاهلا حائرا مفكرا منهارا ، فشاهدت سميرة صحبة شاب أعرفه فى نهج القصبة • فلم اضطرب • بل تقبلت الحدث باستياء وامتعاض فأنا لم أعد أثق فى شىء حتى فى نفسى ••

وقبست من نور الشمس ، لأن الشمس وحدها تدرك ما فى الضمائر ، فتحرقها شوقا ولا تموت الا ليفنى الضمير ويخلق العدم •• فملتنى الشمس وهجرنى الضياء ••

واشتاق الى النور يوما ، فنفثتنى الحياة الى الوجود • فرأيت الناس يتهربون من لهيب الشمس ويتحرزون بالأفياء والظلال لاهثين لهاث القدر• ولا يسكنون فتتلون الشمس كالافعى تطل من حجرها لتلدغ الوجود فلاذ به يغرق فى مأساة • فيقفز القلب عطفا يريد العوم •• ولا يحسن الا الحب عاشق أحمق •• ولكن ربان السفينة شديد رغم المأساة ••

فقلت لنفسى : لعل الوجود فى قبضة هذا الربان • فلأصارع •• فعسى أن تكون النجاة •

وجئتهم مهيبا ، أحمل الشمس فى يد وأدفع الظلام بالاخرى وأسوقهم أمامى كالقطيع ، فعساهم يفقهون • فيتلفتون الى قائلين : اسكتوا عنه ولا تتكلموا•• انه مجنون ••

ولكن أنا انسان •• أنا عاقل •• أنا قلب متعطش اليكم يا ناس ، وروح تريد أن تقتبس منكم وتتغذى من معينكم الذى تتغذون منه •

كلمة واحدة يا ناس •• أريد ان أقول كلمة واحدة • اسمعونى لا تسخروا منى • لا تنظروا الى هكذا بعيون لا تعرف الضياء • أنا ابنكم يا ناس • لماذا تفرون منى ؟ هل كلامى يخيفكم ؟ هل لسانى يؤذيكم ؟ ولماذا أنتم لا تسكتون ؟؟

الكتاب •• وهل ينفعنى الكتاب عندما أريد أن أقول كلمة للناس ؟ كلا •• أنا أريد أن يخاطبونى •• أن يناقشونى •• أن ينقدونى •• أريد الكلام •• الكلام مع الناس • سأقتل مقابل كلمة أقولها اذا أمكن • سأختلس من جيوب الأغنياء لاقف أمام العدالة وأقول كلمة •• لا •• لا •• لن افعل • سيلقى بى فى السجن ، وأخسر الكلمة وأخسر أكثر من كلمة•• أخسر الناس•• الناس الاشقياء مثلى •• الناس الذين يضحكون على لأنى لا أحسن الكلام معهم ••

النور ؟ ٠٠ النور يشع بعيدا ٠٠ ما هذا ؟ هذا امر غريب ٠٠ هذا الجعل مقبل من بعيد ٠٠ الجعل يريد أن يحدثكم عوضا عني أتصمتون الآن ؟ اتخافون من جعل من صوت جعل صغير ضعيف حقير ، عجبا يا ناس ؟ النور يقترب شيئا فشيئا ٠٠ ولكن ما هذا أيضا ؟ انها النملة ٠ سكوتا ، انصتوا الى من فضلكم ٠ الجعل يغيب عن العيون ، أتضحكون ؟ أتتهامسون ؟ تكلموا ؟ ماذا دهاكم ؟ هل النملة تضحككم أيضا؟ لا يهم٠٠ستعرفون قيمة الهوام والحشرات والحيوانات الحقيرة الضئيلة ٠٠ ستعرفون ٠٠ ماذا ؟ أتبكون ؟ ما هذه المناديل على وجوهكم؟ ما هذه الدموع الهاطلة من محاجركم؟ أتتندمون ؟٠٠ شكرا ،، ما زالت فيكم ذرة من الانسانية ٠ الآن اشعر بوجودي ٠ الآن أحس بأني أعيش في قوم يفهمون صوت الهوام ونداء القلوب ٠ الآن أتندم أنا أيضا ٠ ماذا ؟ ماذا ؟ أتصفقون ؟ أتبكون ؟ أتضحكون ؟ أتترنحون ؟ ماذا أصابكم ؟ يا الهي ٠٠ انى أكاد أجن ٠٠ رأسي يؤلمني ٠ عيناي تؤذيانني ٠٠ بخ ٠٠ بخ ٠٠ أين الناس الذين كنت معهم ؟ أأنا أحلم ؟ ٠٠ سأتكلم لا محالة ٠٠ ولكن أنا أريد ان اراهم ويروني وأسمعهم ويسمعوني وأضحكهم ويضحكوني وأبكيهم ويبكوني وأسخر منهم ويسخروا مني ٠٠

أمي ؟٠٠ أنت هنا ؟ مرحبا بك يا أماه ٠٠ أنا لست مريضا ٠٠ أنام ، كلا ، أنا لا أريد النوم ٠٠ أريد البكاء ٠٠ وأريد الصراخ ملء حنجرتي ٠ احسبيني طفلا صغيرا يا أماه ٠٠ ألم أكن أبيت هكذا ؟ ٠٠ لا يا أماه ، السهاد رمز الخلود ٠٠ أنا أريد أن أعيش ٠٠ أريد أن أصرخ كما لو كنت صبيا ٠٠ سأتكلم ٠ وسأقاتل النوم حتى أنتصر ٠ أنا لا أريد الهزيمة٠٠الهزائم ليست من شيم الرجال الذين لا ينامون ٠٠ الهزيمة مرة كالنوم ، كالصمت ، الهزيمة قاسية قساوة الركود ٠٠

تصلين يا أماه ؟ أدعي لي بالخير يا أماه ٠٠ دقيقة صمت من فضلكم ، دعيني يا أماه ، دعيني أكلمهم ٠٠ دعيني أرهم الضياء ٠٠ فقد ضلوا السبيل ، دعيني أمسح عن عيونهم غشاوة الظلام ٠٠ فقد اعماهم الغرور ، وحب الذات ٠ دعيني يا أماه ٠٠ دعيني ٠٠ ماذا ؟ ٠٠ انت تبكين يا أماه ؟٠٠

لا عليك،سأموت ليحيا الحق٠٠سأموت ليسود العدل ، وليسعد البؤساء٠٠ هيا هيا يا أماه ٠٠ قبليني قبلة الوداع ، فالموت سيحملني الى حيث لا ظلم ولا عبث ولا فساد ٠٠ سأموت ٠٠ ولكن ، ادعى لي بالخير يا أماه ٠٠

ح٠ د٠ غ٠

ردوا لي جلد الشاة

شعر : عبد القادر بن شرودة

- 1 -

وَأَطْفَأْتِ فِي العِيدِ عِشْرِينَ شَمْعَهْ
وَفِي غَمْرَةٍ مِنْ هتَافِ الأَحِبَّاءِ ، والزَّغْرَدهْ
تَلَقَّيْتِ بعضَ الهدايَا ،
وجئتُك ، أهديك - بِالوَعيِي - مِرْمَدَهْ
وأعرفُ أنك لا تُدمنين على التَّبْغِ ،
لاتشترينَ السَّجَائِرَ ،
أعرفُ أنك مُؤْمِنَةٌ
تَحْضَرِينَ الجُمَعْ ،
وأعرفُ أنك كنتِ نَبَاتِيَّهْ
تَطبخينَ حشيشَ المَرَاعِي ،
لأبنائك الجائعينْ
وسوفَ تظلِّينَ رغْمَ المآدبِ .
مؤمنة جائعَهْ
سأَدْعُو ،
سأركعُ حتَّى تَظَلِّي كما أَنْتِ ، مؤمنة جائعَهْ
وأرْوِي لمن يعشقونَ الأساطيرَ ،
أنَّكِ أطفأْتِ عشرينَ شَمْعَهْ
وأنَّكِ فاتنةٌ رائعه .

ومنْ عَجَبٍ أنَّهُمْ يَسْتَزِيدُونَ في كلِّ يَوْمٍ ،
لَطِيفَ الحَكَايَا ،
يقولُونَ ، إنَّ الأسَاطِيرَ تشفِي العُقُولْ
فقلتُ : نَعَمْ
وأقولْ :
أساطيرُ كل الشعوبِ مَرَايَا
على سطْحِهَا يَتَجَسَّدُ مَرَّ الفُصُولْ
وفيهَا نرَى الخِصْبَ .
فيهَا نرَى سَنَوَاتِ المُحُولْ
وفيهَا نُنَظِّرُ مَاسَاهُ آتٍ ،
نرَى الأُمْنِيَاتِ ،
وكيفَ أغَارَتْ خيولُ المَغُولْ
وكيفَ سَتَأْتِي جيادُ البَلاَيَا
ونسْمَعُ حتَّى الصَّهِيلْ
وأحكِي لَهُمْ ،
وأُعَيِّدُ
إذْ تجلسينَ لإطفاء عِشْرِينَ شَمْعَهْ
وَخَمْسِينَ شَمْعَهْ
وَلم لاَ أُعَيِّدُ ؟
حتَّى السَّمَاء أرَاهَا تُعَيِّدُ ،
تُمْطِر لَحْما وفولْ .

– 3 –

وَمِنْ عَجَبٍ يُسْنِدُونَ إِلَيَّ الرِّوايَاتِ ،
كم يشتهونَ
لَوَ أَنِّي نَهَضْتُ بِنَسْلِ الفُحُولْ
لَوَ أَنِّي تَعَلَّمْتُ ضَرْبَ الصُّنُوجِ ،
فَقُلْتُ : أَنَا ضَارِبُ الصَّنْجِ ،
بَل « ضَارِبُ الخَيْطِ » . (*)
مُسْتَكْشِفُ المُسْتَحِيلْ
وَمُنْتَسِب لِجَمِيعِ الفِرَقْ
إمام أَنَا فِي الطَّرَائِقِ والدَّرْوَشَهْ
معَ الرَّافِضَهْ
مَعَ الصَّابِئَهْ ،
مَعَ القَادِرِيَّةِ والعِيسَوِيَّةِ ،
والباطِنِيَّةِ .
إسماعِيلِيّ دعِيّ ، تَجَاوَزْتُ كُلَّ الرُّتَبْ ،
وَحِينَ يُؤَرِّخُ لِي .
ستشهدُ كلّ التَّوارِيخِ أَنِّي مَرَايَا الفُصُولْ .

– 4 –

أَنَاذَا أَمَامَكَ عَارٍ ،
وفِي جبهتِي عَوْرَتِي ،
فِي يَدِي عَوْرَتِي ،
فِي يَدِي مِرْمَدَهْ

(*) ضارب خيط الرمل : وهو نوع من استقراء الغيب معروف

بِهَا كُنْتُ أَحْرَقْتُ أَحْلَى المَوَاوِيلِ ،
ضُمِّي إِلَى قَائِمَاتِ المَتَاحِفِ
إِسْمِي
وَمِرْمَدَتِي ،
وَرَمَادَ الأَغَانِي القَتِيلَهْ
فقد آنَ أَنْ أَنْتَحِي زَاوِيَهْ
وَمِثْل جَمِيعِ المَشَاهِيرِ ،
تُصْنَعُ لِي مُومِيَاءْ ،
وَلاَ بَأْسَ أَنْ يَرْسُمُوا لَوْحَةً لِجَمَالِ القَبِيلَهْ
عَلَيْهَا الحُمُولُ الثَّقِيلَهْ ،
وَأَنْ تَسْتُرُوا عَوْرَتِي ،
فَلِي جِلْدُ شَاةٍ نَضَيْتُهُ .
رُدُّوهُ لِي ،
لأَمُوتَ كَكُلِّ شُيُوخِ القَبِيلَهْ .

.ع. ش.

مناهج البناء الخلقي

في المجتمع الاسلامي الحديث (*)

بقلم : محمد منصور

تمهيـــد :

المفهـوم الخلقي : دعائمه وهدفـه

لا جدل وأن المبنى الذى ينبعث منه السلوك الخلقي هو السعـي لتحقيـق التلاؤم بين النوازع الذاتية للفرد ، والعوامل الخارجية الضاغطة التى تحيط به ، أيا كان مصدرها سواء فى ذلك القوى الطبيعية أو القوى الميتافيزيقية أو القوى الاجتماعية · وذلك بغاية الاستجابة الى مثاليات نموذجية صيغت فـي مظاهر سلوكية أوحت بها الفطرة او التجربة ومن شأنها أن تدعم صلة الفـرد بالآخرين · أو تحقق امتثاله لأوامر الزامية صاردة اليه ممن يخشى أو يحتسب · تجنبه ضررا متوقعا أو تهيء له نفعا مؤملا أو سعادة خاصة أو عامة، على خلاف نظرى واسع المدى بين الفلاسفة والمفكرين فى ذلك (1) ·

ومعلوم أن هذا المنحى يصنف الفعل الانسانى تصنيفا تقييميا الى صنفين متمايزى الأثر ، ينفعلان بالقصد وظاهر الفعل وما يحققانه من نتائج للفاعل أو المنفعل · ألا انهما الخير والشر ·

(*) هذا البحث قدمه الاستاذ محمد منصور فى الملتقى الاسلامى والمسيحى الذى انتظم بتونس من 11 الى 17 نوفمبر 1974 (بالمركز الثقافى الدولى بالحمامات) تحت عنوان الضمير المسيحى والضمير الاسلامى فى مواجهتهما لتحديات النمـو ·

(1) يراجع كتاب المدخل الى الفلسفة : لأزفلد كولب تعريب أبو العلا عفيف الطبعة الخامسة بمطبعة النهضة · القاهرة ، ص 309 وما يليها ·

ولا شك أن وحدات السلوك الخلقى تتشكل بتقييم نسبى يختلف باختلاف البيئة والمحيط وتتخذ من معطيات الوسط الطبيعى والعقائدى والاجتماعى للمجموعة سندها فيما يلابسها من أحكام ، اذ أن التقييم الخلقى وليد مخاض حضارى تتلاقح فى ابرازه وتكييفه غالبا وبنسب متفاوتة ، مجموعة من العوامل الاجتماعية الأصلية والطارئة على نحو واضح حينا وخفى حينا آخر ٠ الى درجة قد تسمح بتغليب عامل ما على ما يتمسك به شعب معين من تقييمات أخلاقية ، دينية كانت أو اجتماعية ، فنعتبر أخلاقه دينية اذا كان تقييمها يرتكز لتقدير دينى محض وغايتها ترمى لتحقيق هدف دينى كالثواب والعقاب فيما بعد الموت، ونعتبر أخلاقه وضعية اذا كان تقديرها يرتكز على تقييم اجتماعى محض وبغرض تحقيق هدف اجتماعى ما كحرية المرأة ورعاية الطفولة بتونس ٠

ومن القطعى التسليم بأن للأخلاق أيا كان مصدرها دورا أساسيا فى بناء المجتمع الانسانى وتركيزه ، وتحقيق أهدافه العليا فى بث التوادد والمحبة بين الافراد والجماعات ٠ واشاعة العدل والسلام ونشر الثقافة والفضلية بينهم ، وبالتالى فهى التى تهىء لبناء المجتمع وتحفظ سلامته وحيويته وتشبع قابلية التطور فيه نحو الافضل ٠ وهى على الرغم من كونها عنصرا أساسيا لبناء المجتمع السليم ، فانها لا تتقوم الا بنوازع عاطفية أو نظامية أو اعتقادية تحقق لها الديمومة والاستمرار ٠ وتدعم قدرتها على النفاذ والانتشار وخاصة فى البيئات التى تفتقر الى تحول اصلاحى عميق يبدل آفاتها الاجتماعية ، بدعائم من الصحة والامن ، كما هو حال المجتمع العربى فى عصر ما قبل الاسلام الذى رانت عليه عادات بدائية وعدائية متحللة من أى تقييم أخلاقى شامل وعميق ، مما تسبب فى تداعى العلاقات الانسانية بين الافراد والجماعات الى أدنى درك من العداء والفوضى والظلم المستحكم الجذور ، دون رادع أو زاجر من معتقد سائد أو نظام اجتماعى محكم ٠

الخصائص الاصلية للمجتمع الاسلامى الأول :

فلما حل الاسلام بكيانه العقائدى المتكامل العناصر،وجدلياته العقلية النفاذة حرر الفكر من رواسب السحر والوثنية والاتباعية ٠ وفتح أمام الاحساس الانسانى السليم آفاقا جديدة من الحق والعدل والاثرة والشعور بالمسؤولية ٠ ضمخها بحرارة الايمان ونقاوة المحبة وروعة الفداء وصفاء التأمل ، حتى اذا ما تجلت للنفوس الحقائق الكبرى واستغرقت القلوب فى هدأة اليقين وارتفعت عن

العيون غشاوة الجهل والانانية والعنف ٠ وتوجهت الانظار بالسبر والاختبار لما ألفته من عادات مستهجنة ، وتآصر الناس بحب على عقيدة الاسلام دون أن تشوبها حمية الدم او الولاء أخذ يخطط لتنظيم المجتمع الاسلامي ويبرز خصائصه الاخلاقية على أرضية من العقل والواقع تتسم بايجابية السلوك، وسلامة أثره على الفرد والمجتمع فأمر المسلمين بالتعاون والتراحم والصدق في القول والاخلاص في العمل والوفاء بالعهد والعفو عند المقدرة ، والتواضع والتسامح والعفة والعدل الخ ٠ قال الله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (1) ٠

وقال تعالى : (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ٠ وقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) ٠ وقال (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) ٠ وقال (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ٠ وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ٠ وقال (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ٠ وقال (وأحسن كما أحسن الله اليك) ٠ وقال (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) ٠ وقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)٠ وقال (فاعف واصفح ان الله يحب المحسنين) ٠ وقال (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم)٠ وقال (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) ٠ وقال تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ٠ وقال (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ٠ وقال (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ٠ وقال (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ٠

---

(1) سورة النور الآية رقم 55 ٠

ومن جوامع الكلم فى هذا المجال قوله صلى الله عليه وسلم : (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) كما قال (خالق الناس بخلق حسن) • وقال أيضاً (لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) وقال (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) •

وهكذا نلمس معالجة الاسلام معالجة استقطابية لمجموع الجوانب الاخلاقية التى تحيط بالانسان فى نشاطه الفردى والجماعى على مستوى الذات والاسرة والجماعة الاسلامية والمجموعة الانسانية العامة بما يحقق تربية النفس واكمالها وتدريبها على متابعة الهدى والارشاد الذى يشهد العقل السليم بحقيقته وصلاحه ونفعه منطلقا فى ذلك من الهدى الدينى وحكم الفطرة والتجرد عن الضلالات الملصقة بأحوال البشر بعهود الانحلال والاضطراب الاجتماعى ساعيا الى بث تلك المعانى بين جميع الامم سواء كان بثه بتعليم متبعيه أم كان بابلاغه الى غير متبعيه بدعوته للامم المخالطة وبسمعته فيما بين الامم البعيدة ، فجعل الاتصاف بمكارم الأخلاق حقا على الولاة والهداة والرعايا كل فيما يخصه من الافعال المتعلقة بالاسلام او بمعاشرة المسلمين أو بمعاشرة غير المسلمين من الامم أو بالتصرف فى الحيوان المسخر للبشر » (1)

وبهذا النهج السليم تغيرت النفوس وتهافتت على الاعتراف من مناهله وسعت الجهد الى تبليغه للناس كافة • فكانت اشراقة الاسلام بين أمم الارض اشراقة رشاد وهدى واصلاح للمفاهيم الخاطئة • وتدعيم للكيان العقلى للانسان • فاتخذ من الاعتدال والسماحة والواقعية منهجه فى دعوة الناس للاقتناع به والتبصر فى أصوله العقائدية والشرعية ، وفى الدعوة لاصلاح الفرد فكرا ومعتقدا وعملا فحفز الوازع النفسى فيه الى الاوجه الايجابية للسلوك الانسانى من تعلق باكتساب العلم وسعى لفعل البر وتفرغ لمزيد من العمل النافع • كالاهتمام باصلاح المجموعة وتركيز نظمها على اساس من الحق والعدالة والمروءة والاتحاد والمؤاساة والحرية والمساواة والعلم والعمل والتقى والورع •

(للبحث صلة)

---

(1) يراجع كتاب (أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام) للشيخ محمد الطاهر بن عاشور • نشر الشركة القومية للتوزيع والنشر سنة 1964 صفحة 128 وما يليها •

أغرودة الجرح والبلسم

شعر : الهادى بسباس

أفريـل يا شهـر العبير وبسمـة المـرج النضيـر
أنت الربيـع بحبّـه وبعطفـه الدافـي الوفيـر
أنت الشباب وعنفـه في صولـة الضاري الهصـور

* * *

أفريـل يا عبق الورود ويا جمال الأقحـوان
يا بسمة الثغـر الحبيب يفيض حلما وحنـان
يا صرخة الزعماء يا صيحة حرب وطعـان
أتراك تبني في الخمائـل للطيـور ؟
أم تنفث الثورات عصفا قاصفا لكل جـور ؟
فيصاعد في الجو غيم من دماء ودخـان !!

* * *

أفريـل يا شهـر السعـادة والوداعـة والوعـود
يـا بسمـة العشاق يـا أغـرودة الخل الـودود
يـا جنّـة مـوعـودة يرنـو لهـا قلب الشهيـد
أتـراك أترعت الكـؤوس بخمـرة من أرجـوان ؟
أم هـو شخب دم الشهيـد تـدفـق أحمـر قـانـي
يتلـو صـلاة الثأر والحقـد المضمـخ بالوعيـد ؟

* * *

كـم عبقـري يـوم تسـع في الوغـى ثكلتـه أمّـه
ولكـم صبـي يافـع في يـوم تسـع كـان يتمـه
ولكـم عـروس أيمت ولكـم شجـاع خـار عزمـه
فـاذا المآتـم تملأ الآفـاق حزنـا ونحيبـا

واذا الدخيل مزمجر يقتاد للسجن الحبيبا
واذا الظلام برعبه قد عاث في الأحياء ظلمه !!!

* * *

أفريل يا شهر الأمومة والمحبّة والوئام
أفريل يا شهر الخصوبة والفتوة والسلام
مالي أراك تمزق الأحشاء حصدا للأنام ؟
أترى المروج الزاهيات الخضر ظمأى للدماء
فرأيت أن تسقيها هطلا من دماء الشهداء
فيكون نفح الزهر عزا خالدا أبد الدهور

* * *

أفريل يا شهر العطور والزهور والطيور
أفريل يا أغرودة الحب المعطر والحبور
يا صرخة الأحرار تدوي فوق أجنحة النسور

هـ. ب.

كتب جديدة :

• أهدتنا الدار العربية للكتاب نسخا من أحدث منشوراتها وهي : « مهجريات » لعيسى الناعوري ، « دم ودخان » مجموعة قصص للاديب المغربي مبارك ربيع ، « على مرمى البصر » ليوسف القويري، « ستون قصة قصيرة » لعبد الله القويري ، « كراسات أدبية » لخليفة محمد التليسي ، « تأملات في المعمار الاسلامي في ليبيا » ، « التعليم الهيكلي للغات الحية » وضعه بالفرنسية الدكتور رضا السويسي .
فللدار شكرنا الخالص وتمنياتنا لانتاجها بالرواج .

الفضيحة

قصة بقلم العربي بنتركة
(المغرب الاقصى)

①

● لست جميلة كما يجب أن يكون الجمال ٠٠ ومع ذلك كانـوا يقولـون لـــى :

ـ إنك جميلة ٠٠ جميلة جدا ٠٠

وكنت أقول مع نفسى وأنا أحس بالزيف فى كلماتهم ، إن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد تغرير ورغبة فى الوصول الى إطفاء شهوة عابرة ونزوة زائلـة وبعدها ٠٠ بعدها يحصل لى كما يحصل لأى امرأة أخرى تجلبها كلمات مـن عسل وتخلب لبها همسات مخدوعة وجمل ظاهرهـا ورد ومضمونهـا شـوك وعلقم ٠٠ لأن المرأة ٠٠ أى امرأة حتى ولو كان جمالها يفوق الوصف ويتحدى كل تعبير ، كما كان يقال لى نفاقا ، تصبح لا شىء ٠٠ باهتة وتافهة وسخيفة عندما تنتهى وظيفة الرجل منها أو عندما تنتهى وظيفتها مع الرجل ٠٠

هكذا كنت أقـول ٠٠

ولكن بعضهم كان يعرف كيف يجعلنى أنخدع فاقبل زوره وكذبه دون أن يترك لى مجالا من الوقت أفكر فيه وأحدد موقفى ٠٠ فكنت أمتلىء شكا ووسواسا وبينهما رعشة تفاؤل ٠٠ وكلما قابلت المرآة أسألها اكتشفت أن جمالـى كلـه تجمع فى ساقى الملفوفتين وخصرى المثير وشعرى المسترسل ولا شىء بعد ذلك منى ينطق بالجمال على الاطلاق ٠ وكنت وقتها استحضر قولة صادفتها يوما ما فى كتاب لا أذكره الآن تقول :

ـ إن المرأة دوما ضعيفة ٠٠ فاذا كانت جميلة استغل فيها الرجل غرورها بجمالها وإذا كانت دون الجمال استغل الرجل فيها شكها فى نفسها ٠

● عندنا نحن النساء جملة نرددها·· ونكاد نتفق عليها من غير أن نأتمر أو نعقد جلسات عمل·· وهذه الجملة هي : كل الرجال سواء·· وهذا خطأ·· إن بين الرجال من هم أشد قسوة وأضخم كبرياء ·· وبينهم من هم أقل تفاحشا وأكثر رحمة ·· وبينهم كذلك من يدفع ثمن غيره ·· تماما مثلنا نحن النساء ·

الشيء الذى يتساوى فيه الرجال ـ أو يكاد ـ هو أن أى واحد منهم لا يرضى بانقاذ واحدة منا نحن جنسهم اللطيف ، كانت ضحية رجل آخر غيره·· لأنه يحس فى ذلك إهانةومذلة له ومساسا بشخصيته وكرامته··أو لنقل بصراحة، لأنه يحس فى ذلك تجريحا لكبريائه ·· وهذا أيضا خطأ ·· خطأ لأن المرأة منذ بدأ وعيها وادراكها ·· تهتم بشيء واحد لا ثانى له ·· وهو البحث عن رجل تجد فيه نفسها ·· وتجد فيه العطف والحنان فتعيش له وتحيا تحت رحمته الى الأبد مخلصة مطمئنة ·· فان هى وجدته انتهت كل مشكلاتها وكانت سيدة بيت ·· وان حدث العكس فسرعان ما تنهزم وتتحول الى بضاعة من البضائع المعروضة على قارعة كل طريق ·· وفى كل زاوية وركن من زوايا وأركان الشوارع ·· لكل مار فيها نصيب مع اختلاف قيمة ذلك النصيب وأهميته ··

● صحيح أننا لا ندرك قيمة الأشياء إلا عندما تتضخم وتكبر ··

وقد ندمع·· ونتأسف·· ونتألم ونتبرم تحت وطأة الضمير ولكن فى وقت تصير فيه كل تلك الأشياء هوامش أو امتدادا طبيعيا لخطأ اقترفناه مهما كان ذلك الخطأ ومهما كانت الطرق المؤدية اليه أو الأسباب الدافعة إليه ··

على كل ·· لست بحاجة الى تعليل موقفى ·· او بعبارة أشد وضوحا لست فى حاجة الى الدفاع عن نفسى والبحث عن مبررات مقبولة وأعذار جائزة بعد كل الذى حدث ·· وبعد النتائج التى حصلت عليها والزوابع التى حصدتها فى نهاية المطاف ··

ويكفى أن يشفع لى عند الآخرين أننى واحدة من ضحايا مجتمع يبيح لنفسه أن يصنع الضحايا ·

● لست أدرى لماذا يحلو لنوع من الرجال ـ وهو النوع الذى عرفت ـ أن يضع دوما رفيقته المرأة فى قفص الاتهام ليمسح فيها تهم الخطيئة ·· مع أن كل خطيئة قد ترتكبها المرأة عن طواعية أو مجبرة ، يكون سببها الرجل

نفسه ·· فاما كان هو الدافع اليها أو كان هو الغاية منها ·· فالمرأة لا تخطىء وحدها وانما تخطىء مع رجل ومن أجل رجل ··

ومع أننى لا أفهم فى القوانين ولا يهمنى أن أفهم فيها فاننى أكتفى بما قلته تحاشيا للاصطدام بالرجل وهو طبعا مخطط كل القوانين وان كان هو السبب الرئيسى باستمرار فى خرقها والخروج عن حدودها ··

②

● والدى سامحه الله ·· أول رجل أخطأ فى حقى ·· لقد كان يهيننى ويحتقرنى ويصب على جام غضبه بدون اسباب سابقة ·· وكان لا يخفى كرهه لى بين إخوتى وكلهم ذكور ··

وكان نصيبى منه ·· كل نصيبى ·· أن يصرخ فى وجهى كالمعتوه ويغرقنى فى بحر شتائمه الذى لا يحده من أخمص قدمى الى أعلى قمة رأسى ·· وكان يحمل يمناه الى فوق ثم يهوى بها على وجهى فى صفعة قوية كالبركان وكأنما يحس بلذة ونشوة عندما يفعل ذلك ·· وكلما بحثت عن ذنبى وجدت أن ذنبى ـ إن كان فعلا ذنبى ـ هو أننى بنت ··وكان عزائى الوحيد أن أبكى بمرارة·· إلا أن البكاء ليس حلا ·· وهذا شىء أعرفه ·· ولكن ما حيلتى والدموع وحدها كل السلاح الذى أملك ·· إنى مثل كل فتاة ضعيفة ومغلوبة على أمرها ·· ومن ثم كان ضروريا أن أحتمى بالسلاح الأوحد الذى أملكه وهو كما أسلفت ·· الدموع والنحيب ·· ثم الصبر ··

● كنت كأى فتاة محرومة من عطف وحنان ·· منذ وعيت أبحث عن ذلك العطف وذلك الحنان فى أى وجه من الوجوه الغريبة التى أصادفها فى طريقى·· وفى أى كلمة من الكلمات التى أسمعها وفى كل جملة من الجمل التى أقرأها وفى أى شىء من الأشياء التى تحيط بى داخل البيت وفى المدرسة والشارع ·· فكنت أتحسس كل وجه يقع عليه بصرى ·· وأتحسس كل كلمة تصطدم بها أذنى ·· وأتحسس كل سطر من السطور التى أقرأها برغبة أو بدون رغبة فى القراءة ··

فكانت كل كلمة عذبة تجعل قلبى يرتعش ·· وكل همسة رقيقة تهز جذور احساسى ·· وكل نظرة لطيفة تجعل شعورى يتفتح كزهرة لم تبرح بعد أحضان الشوك الذى تنمو بين جنباته ·· فكانت البسمة التى لا تعرف طريقها الى

تغرى داخل البيت ٠٠ تغزو طريقها الى شفتى ثم لا تلبث ان تتقلص وتحتجب بنفس السرعة التى أشرقت بها ٠٠ فكان يحدث لى مثلما يحدث للمصباح الذى ينور فور الضغط على الزر ثم ينطفىء نوره فور اعادة الضغط على ذلك الزر من غير أن يفهم المصباح السر فى ذلك ٠٠ ومن غير أن يتحكم هو فى الزر ٠٠ ومع ذلك فكثيرا ما كانت ابتسامتى تؤول وتفسر بغير تفسيرها الحقيقى من طرف الآخرين ٠٠ والآخرون طبعا هم المشكل القائم فى حياتنا خاصة نحن النساء ٠٠

● أمى ٠٠ لا كلام عليها فى هذا المجال ٠٠ فقد كانت دوما أضعف ارادة ومشلولة المواقف أمام تصلب والدى وكبريائه ٠٠ لا سلطة لها علينا ولا حتى حق التدخل لنا أو علينا ٠٠ مع أنى كنت الوحيدة التى تحتاج اليها ، لأن اخوتى الثلاثة كانوا يكونون الامتداد الطبيعى لابى ٠٠ اى أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص على مضايقتى وخنق أنفاسى وحبس تصرفاتى ٠٠ وكان عذرهم فى ذلك أنهم تعلموا من والدى ٠٠ وفلسفة والدى تقول إن الرجل هو كل شىء ٠٠ أما المرأة فينبغى كبتها والضغط عليها حتى لا تصمه بالعار وتمس كرامته بسوء وتسود ملف حياته ٠٠ ونسى والدى نظرية علمية مثبتة ، قرأتها وأنا صغيرة ، والنظرية تقول: إن الضغط يولد الانفجار ٠٠ وحتى اذا كان والدى لم يقرأ هذه النظرية ولم يعرف شيئا عنها لانه لم يدخل المدرسة فى حياته ، فان اخوتى تنكروا لتلك النظرية مثلما تنكروا لغيرها ٠٠ فكانوا مثله تأثرا بأسلوبه فرفضوا جل ما تعلموه ، أو إن جل ما تعلموه ظل حبيسا فى حجرة الدرس كما يحدث للهواء عندما يفسد فى غرفة لا يجد بها منفذا ٠

● وإذا كان لا بد من قول الحق كاملا ٠٠ فان أمى حاولت جهد الامكان والمستطاع الدفاع عنى والتدخل لصالحى ولكنها كانت لا تفلح ٠٠ وكانت فى كل مرة تحاول خلالها ذلك تتكبد الكثير من الشقاء وتتعرض الى الضرب والتهديد بالطلاق والطرد من طرف سيدنا آدم الغريب العنيف ، أقصد والدى ٠٠ ولذلك كثيرا ما كنت سببا فى إثارة خصومات حادة ونزاع يقيم الدنيا حولنا ويقعدها ٠٠ نزاع يستغرق اياما طويلة وقد يمتد الى أسابيع وشهور يتحول أثناءها بيتنا الى جحيم لا يطاق بسبب الصمت الرهيب الذى يطبق على كل شىء حتى حركات الأوانى ٠٠

وكلما حدث ذلك ، وكثيرا ما كان يحدث ، كنت أنا وأمى نعيش فى عزلة عن أبى واخوتى ٠٠ رغم أن بيتنا ضيق ، فليس هناك إلا مسافة قصيرة تفصل

بين جهاته وأركانه وبين حجرتين هما كل ما يتكون منهما هذا البيت الذى يئن تحت قدمى والدى المستبد العاصف ..

وكنت أنا وأمى نحتل الحجرة الصغرى ومعنا شقيقى الأصغر قبل أن يتم الصلح بين أبى وأمى وقبل أن يصدر والدى عفوه عليها .. فقد كان دوما هو الذى يبدأ بمحاورتها وكان ذلك يعنى عودة المياه الى مجاريها .. وكنا جميعا حتى أمى ننتظر ذلك العفو والصفح منه كلما حدث نزاع بينهما أو مشادة تؤدى الى انفجار ثورته العارمة .. وكنا كلما عادت المياه الى مجاريها نحس بنوع من السعادة والفرح .. فنعود جميعا أنا واخوتى الى الاجتماع والرقاد فى حجرتنا الصغيرة المشتركة ، فى حين تعود أمى الى مشاركة والدى فى غرفتهما الكبيرة المزدانة جدرانها بصور ملونة للامام على ابن ابى طالب وبعض الأئمة ومشايخ الدين القدامى ..

● كنت فى ذلك الوقت تلميذة فى السنة الثانية من الدراسة الثانوية .. كنت قد بدأت فى استيعاب الأشياء وإدراك الأمور .. وبدأت أجتر الايام مثلما تجترنى..وبدأت أحشر نفسى فى اختبارات ذاتية استكشف بها خبرتى ومقدرتى وأوازى بين عقلى وقلبى .. وبين مشاعرى وأفكارى ..

بدأت أحس أن السعادة حلم يراودنا ويزورنا بين حين وآخر .. وأن الشقاء .. كل الشقاء أن نحلم بشيء لا نصل الى تحقيقه ولا نتمكن من ممارسته ..

● لست بحاجة الى القول إنى كنت تلميذة مجتهدة ومواظبة إلى أبعد حدود الاجتهاد والمواظبة .. ومستقيمة كما تكون الاستقامة .. ولكن .. سرعان ما تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن ، فقد ماتت أمى بعد عشرة أيام من الترنح والألم والأنين والتبرم .. بعد عشرة أيام بلياليها كنا جميعا خلالها مرضى لا نعرف لذة النوم ولا لذة الأكل أو الشرب ..

لقد أصابها مرض فجائى ولكنه كان قاسيا وعنيفا .. مرض لست أعرف حتى الآن نوعه وأسبابه .. ولا أين كان مستقرا داخل جسدها الذى كان يتلوى وتتصاعد منه حرارة قوية .. خصوصا وأن أبى لم يستدع لها طبيبا ولا حملها الى طبيب بل تركها بين مخالب الألم تئن وتزفر الى أن فارقت الحياة .. فشعرت عندها أنى أزداد كرها لأبى ..

③

● بعد ثلاثة أشهر ونصف شهر بالذات والتحديد .. من يوم وفاة أمي ، كان بيتنا يستقبل سيدة أخرى .. زوجة والدي الجديدة ..

كانت كثيرة الكلام والثرثرة .. سريعة الانفعال والغضب .. معجبة بنفسها وبجمالها ..

زوجة أبي شابة جميلة وجذابة .. اذا وقفت الى جوار والدي حسبتها احدى بناته فهو يكبرها بفارق كبيـر من السنـوات حتى أني كنت أتسـاءل مـع نفسي كيف قبلت الزواج منه .

ونسي البيت بمن فيه سيدته الأولى..أمي..وكنت الوحيدة التي تحتضن في قلبها وعقلها وشعورها صورها وذكرياتها .. وكلماتها وحركاتها .. فكان ذلك يعذبني كثيرا خاصة عندما أسند رأسي على الوسادة لأنام .. ومع ذلك فلم أكن أحس بشيء من الكراهية لزوجة والدي الجديدة التي احتلت مكانـة أمي عند بقية الموجودين معي بالبيت ..

كان بيتنا كما سبق أن أشرت الى ذلك اشارة سريعة ، يتكون من حجرتين ومطبخ .. وهو بيت يأتي في نهاية صف طويل ممتد من البيوت التي هي في شكله وعلى نسقه .. في حي شعبي يضم أكبر عدد من سكان المدينة ومعظمهم فقراء وعاطلون ..

كانت الحجرة الكبرى لابي وزوجته الشابة الجميلة .. والحجرة الصغيرة تضمني أنا واخوتي الثلاثة ..

● الذي حدث بعد زواج أبي بأيام معدودة .. أني بـدأت أحـس كلمـا انتصف الليل او انقضى جله ، بيد تمتد نحوي من الظلام .. يد مرتعشة تحط على جسدي وأنا غارقة في النوم أو سابحة بأفكاري في أوهام ومتاهات عميقة الغور .. فكنت لا ألبث أن أقفز مذعورة وبي رغبة في الصراخ .. ثم أنيـر المصباح الكهربائي ـ الذي لا تتوفر عليه كل بيوت حينا ـ فلا أجد من حولي شيئا غير اخوتي الثلاثة .. كل واحد منهم في مكانه .. نائمون في طمأنينة وسكون .. فأعود الى النوم رغم ما يساورني من شكوك ويتملكني من خوف شديـد ..

وبعد ليال تكرر أثناءها الحادث تأكد لى أن اليد التى تمتد الى لتلمس جسدى ليست وهما وليست مجرد شعور ٠٠ كانت يد أخى أحمد ٠

أخى أحمد أكبرنا سنا ٠٠ لقد أصبح الآن شابا فى الخامس والعشرين من عمره ٠٠ إنه نسخة طبق الأصل من أبى فى قسوته بل حتى فى ملامحه وأوصافه واعتماده على القوة والعنف ٠٠

كنت أخشى أحمد وأخاف منه مثلما أخاف من أبى بل انه أحيانا يكون أشد ارهابا من أبى ٠٠ وقد ازداد خوفى منه عندما عرفت أنه صاحب اليد التى تمتد نحوى كل ليلة ٠٠ كنت أتصوره يخنقنى ٠٠ يمزق جلدى بأظفاره الطويلة التى قلما يعنى بتقليمها ٠٠ فكنت أتتبع بكل احساسى حركات يده المرتعشة وهى تتلمس جسدى ٠٠ ثم تنتقل الى صدرى ٠٠ فتزحف بعد قليل الى شفتى ثم لا تلبث أن تستقر فوق خصرى ٠٠ كنت أحس بشىء كالماء الساخن ينزلق فوق أعضاء جسدى ٠٠ تأتى بعده موجة الارتجاف تكسو بدنى من فوق الى تحت ومن تحت الى فوق فكنت أحاول كبت انفاسى وأنا أتظاهر بالنوم العميق ٠٠ وبعد ذلك صرت أبدى شيئا من المقاومة بطرق غير مباشرة طبعا خجلا من (أخى) ٠٠ فكنت ألف جسدى كله فى الغطاء ٠٠ وأدفع عنى يد أخى كلما امتدت الى ٠٠ ولكن أخى أحمد لم يتورع من الاستمرار فى فعلته التى جعلت كيانى يضطرب ٠٠ وهكذا وجدتنى أغرق فى حيرة عنيفة ٠٠ فى عذاب ٠٠

● منذ ذلك التاريخ ٠٠ تغيرت نظرة أحمد الى ٠٠ أخى أحمد ٠٠ تغير موقفه منى ٠٠ رغم ما كان يبدو عليه من اضطراب كلما تقابلنا نهارا بالبيت أو خارج حدود البيت ٠٠ لقد صرت شيئا له أهميته ٠٠ يجد من يدافع عنه ٠٠ ويناصره داخل البيت ٠٠ أخى أحمد فى الذمة ٠٠ وكنت أتساءل بينى وبين نفسى ٠٠ هل هو أحمد ٠٠ أم أنه تغير الى انسان آخر ٠٠؟! انسان هادىء ولطيف ٠٠وكنت أقول انه فعلا أحمد ولكن فى صيغة أخرى غريبة ٠٠

– يتبع –

مقدمة ابن خلدون
بين ايدي الدارسين

بقلم : رضوان ابراهيم
(القاهرة)

قامت دار المغرب العربى فى تونس بنشر كتاب « نظريات ابن خلدون » من تأليف المستشرقة الروسية المعاصرة الدكتورة سفيتلانا باتسيفا ، وهو دراسات قصيرة وعميقة حول نظريات ابن خلدون الاقتصادية والاجتماعية والفلسفية والصوفية وغيرها • أما كتابها الكبير حول دراسة مقدمة ابن خلدون من النواحى العامة والمستوعبة التى تناولت فيها حياته وعصره والمسرح السياسى والاقتصادى والثقافى الذى مثل فيه ابن خلدون أخطر الادوار أثرا فى تاريخ الامة العربية حتى اليوم ـ فما زال ينتظر دوره فى النشر ، وهو من الكتب الخطيرة التى جعلت من ابن خلدون سلفا وأستاذا للافكار التقدمية الشائعة اليوم فى عالم النشاط البشرى المعاصر على اطلاقه ، وعرفته الى قارىء اللغة الروسية باعتباره « العالم العربى العظيم » •

وبه نالت المؤلفة درجة الدكتوراه ، وهى تقوم الآن بترجمة مقدمة ابن خلدون ترجمة كاملة لاول مرة الى اللغة الروسية •

وفى هذه الحلقات نعرض كيف ألمت المؤلفة بالمراحل الزمانية والمكانية التى جعلت من هذه المقدمة منبعا للعلوم والمعارف التى تتلمذ عليها واحتضنها الدارسون والمتخصصون فى الشرق والغرب ، كل فى ميدان تخصصه ، وحاولوا أن يتقصوا الجوانب الموسوعية والعبقرية التى ألهمها ابن خلدون والتى ألهمها فيما بعد علماء العالم الكثير من العلوم والمعارف والمناهج التى سبق بها ابن خلدون علماء عصره على الاطلاق ، وعلماء الاجيال التالية حتى اليوم •

ويرجع تاريخ دراسة المقدمة الى أكثر من قرن ونصف ، ومع ذلك فانها لم تصبح حتى الآن مادة لدراسة متخصصة ، كما لا يوجد سوى قوائم مصنفة

للمؤلفات المخصصة لابن خلدون ، بينما أصبحت الحاجة ماسة الى مثل هذا العمل فى الوقت الحاضر ٠

وينتمى المؤلفون الذين كتبوا عن ابن خلدون الى عصور تاريخية مختلفة ، كما ينتمون الى نظريات سياسية وعلمية عديدة ٠

وفى مسيرة هذه الدراسات كشف المؤلفون عن آراء أثرت تأثيرا ايجابيا فى فهم هذه المقدمة وأدت الى نتائج قيمة ٠

ومع ذلك فكثيرا ما تعرضت آراء ابن خلدون للتحريف المتعمد وغير المتعمد ، وجرى تقييمها من وجهات النظر المتحاملة ٠

ولقد بدأت دراسة الانتاج العلمى لابن خلدون فى العشر الاول من القرن التاسع عشر على أيدى المستشرقين الفرنسيين ، وكان على رأس هؤلاء الدارسين الاوروبيين والعرب فى هذه الفترة سلفستر دى ساسى (1759 ـ 1838) وتلاميذه وأتباعه المقربون ٠

ففى عام 1806 نشر سلفستر دى ساسى نصا وترجمة لفصلين من المقدمة هما : شارات الملك والسلطان ، والفاطميون ٠

وهذه النشرة مصوغة بطريقة معيبة ، وفهارسها ناقصة الى حد كبير ، ولهذا لم تقدم مغزى علميا كبيرا ٠

وفى الشروح المرافقة قدم سلفستر دى ساسى ترجمة لبعض الفقرات من الموسوعة المصنفة لحاجى خليفة الخاصة بابن خلدون ٠

وفى نفس العام ، وبرجاء خاص من سلفستر دى ساسى ، أحضر الجنرال سباستيان ـ رئيس البعثة العسكرية الفرنسية فى تركيا ـ من سوق الكتب فى استامبول سفرا جميلا للمقدمة ، (نسخة 1733) التى أصبحت فيما بعد أساسا لنشرة كاترير ٠

وفى عام 1810 نشر سلفستر دى ساسى نبذتين أخريين ٠

وفى عام 1811 لقب المستشرق النمسوى يوسف هامار (1774 ـ 1856) ـ الذى كان واقعا تحت تأثير أفكار الثقافة الفرنسية فى ذلك الحين ـ لقب ابن خلدون بلقب « منتسكيو العرب » ، وأنه لم يكن واضحا لديه على أى حال وجه الشبه بينهما ٠

وفى عام 1818 أشار دى ساسى الى أن المقدمة تستحق تقديرا فخريا خاصا من بين أعمال « المؤرخين العرب » ، وهو يصف بايجاز مكونات المقدمة ، لكنه يفسر سيرة ابن خلدون تفسيرات غير دقيقة ، مأخوذة عن حاجى خليفة ٠

وبدون ارتباط بأعمال المستشرقين الفرنسيين نشر الأب لانتشى المخطوطة المنسوبة الى ا٠ ى٠ ايتالنسكى ، ومقتطفات عن حروف الهجاء العربية ، لكن المقتطفات المنشورة يشوبها عدد كبير من الاخطاء وهى بدون ترجمة ، ولهذا سرعان ما نسيت هذه الطبعة ٠

ومنذ العشرينات بدأ اهتمام الاستشراق الاوروبى ــ والفرنسى منه بوجه خاص ــ بدأ الاهتمام بأعمال ابن خلدون يتزايد ، فقد أصدر يوسف هامار ، و ج٠ دى تاسى ، و ج٠ فريتاج ، أصدروا نشرة تضم مقتطفات من فصول المقدمة ، مصحوبة بالترجمة والشرح ٠

وفى هذه السنوات لاحظ ج٠ رينو أن اسم ابن خلدون اكتسب شهرة عظيمة فى أوروبا ، وأثار كتابه ضجة حقيقية فى الدوائر العلمية ، وأجبر الكثير من الباحثين على أن يعيدوا النظر فى علاقتهم بتاريخ الشرق ، ولقد لعبت الدور الحاسم فى تغيير موقف المستشرقين الاوروبيين مقالة استاذ الفلسفة الشاب ، والعالم المستشرق البارز ، فريدريك شولتز (1799 ــ 1829) تلميذ سلفستر دى ساسى ٠

لقد انهال شولتز بعنف على المستشرقين الاوروبيين الذين شغلتهم ــ على حد قوله ــ « السرقات فى الشعر الشرقى » فحسب ، وفى عصرنا هذا ــ كما يكتب شولتز ــ ينتظر منا الرأى العام معارف أكثر تنوعا واتساعا وجدوى ، ومن المشكوك فيه أن هذه المعارف يمكن الحصول عليها من الشعر العربى أو الفارسى ، والمستشرقون يشغلون أنفسهم « بنشر المعلقات أو الغزل ، وتمجيد حافظ أو المتنبى » فحسب ، وكل هذا يسيىء الى سمعة المستشرقين ٠

ويدعو شولتز الى تحويل مجرى الابحاث ، وينصح فى اصرار بتوجيه الاهتمام الاساسى الى الاعمال التاريخية والفلسفية التى تساعد على فهم « تاريخ الشعب وروحانياته » ٠ ويقول : « إننى أقول كل هذا ، لا عن غرور

تافه ، ولكن لصالح الحقيقة ، بهذا توحى قراءة المقدمة التى لم أر لها – مع الاسف العميق – نشرة مترجمة على الوجه الاكمل » .

وينشر شولتز فى مقتطفاته جزءا كبيرا من : « مقدمة فى فضل علم التاريخ » ، وفى شروح شولتز يقدر تقديرا ساميا للغاية مبادىء دراسة حياة المجتمع ، وبنية الكتاب التاريخى الذى يقدمه لنا ابن خلدون ويشير الى أن « تاريخ العرب والبربر » مؤلف فريد له أهمية علمية وعملية ، وأنه يعطى جميع الجوانب والمعارف الحقيقية عن شمالى افريقيا . وفى نهاية المقال يشير شولتز الى ضرورة اصدار نشرة سريعة ، وترجمة لهذا البحث الفلسفى لمؤلف يمكن أن يدعى بحق « مونتسكيو الشرق » .

وينبرى للدفاع عن دراسة الشعر الشرقى سلفستر دى ساسى ، و ج . دى لاجرانج بصفة خاصة ، لان كلا العالمين يستشهد على هذا بالمضمون الفلسفى للشعر وأهميته لفهم حياة الشعوب الشرقية وأفكارها فهما صحيحا ، وقد اتفقا مع شولتز فى شىء واحد فقط ، هو الحاجة الى دراسة أكثر فاعلية للمؤلفات التاريخية الفلسفية للشرق .

وقد أحدثت مقالة شولتز دويا هائلا لا فى الدوائر العلمية فحسب ، ولكنها أثارت الاهتمام حتى فى وزارة الحربية الفرنسية .

وفى العشرينات والثلاثينات من سنى القرن التاسع عشر ظهر بجلاء تأثير عاملين على جانب كبير من الاهمية ، وقد أثارا اهتماما خاصا بكتاب ابن خلدون فى البلدان الاوروبية ، وقبل كل شىء فى فرنسا .

أولها : النضال العنيف الذى قامت به البورجوازية الاقتصادية المسيطرة اقتصاديا ضد طبقة النبلاء المسيطرة سياسيا .

وثانيهما : طموح البورجوازية الفرنسية الى توسيع حجم أسواقها الاستعمارية التى تقلصت لدرجة عظيمة ابان الحرب الانجليزية الفرنسية .

وكان السلاح الفكرى الاساسى للبورجوازية الفرنسية فى سنوات بعث التراث القديم هو علم التاريخ

ولقد مكنت تجربة الثورة المنتصرة المضادة للاقطاع ووفرة التراث بدرجة كافية لتعليم الافكار التاريخية الفلسفية مكنت الايديولوجية البورجوازية من إعادة النظر فى التاريخ الفرنسى كله ، كما مكنتها من أن تصوره على أنه تاريخ لنضال الشعب ، أى البورجوازية ضد النبلاء ، وفى هذه الفترة بلغ علم تدوين التاريخ البورجوازى قمة تطوره ، وكان أشهر ممثليه هما : و· تيرى ، و ف· جيزى اللذان ابتدعا نظرية النضال الطبقى · وقد قاد علم تدوين التاريخ حركة موجهة ضد « الرومنتيكية » الاقطاعية الاكليركية القانونية ، أى القاعدة الفكرية لاحياء الآثار القديمة ·

ولم يكن الاستشراق الفرنسى فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميدانا ثانويا بالمرة لجبهة الحرب الايديولوجية بين البورجوازية والاقطاع ، فالى هذا الحد أو ذاك وضع ممثلوه النوابغ أنفسهم فى خدمة الطبقة العليا ، وفى هذا الصدد بالذات تتميز شخصية المؤرخ الفيلسوف الملحد ، والعالم اللغوى ، والمستشرق الرحالة ، ك· ف· فولنييه (1757 ــ 1820) وهو باحث مصر وسوريا ·

وقد بقى نائبا لكونفينت فى سنوات الثورة ولون امبراطورية بيير فرانس ، كما بقى تابعا للودفيك الثامن عشر وكان طوال حياته الحرة ممثلا منطقيا للعلم التقدمى البورجوازى ، مطورا للآراء التاريخية الفلسفية لمونتسكيو ، وفولتير ، ورينال ، وهويشير فى حرية الى ضرورة الاختيار النقدى ، وتحليل الحقائق ، ويطالب بالدراسة العميقة لتاريخ بلدان الشرق وشعوبه ، ويدافع عن الطريقة التى « تميل الى وضع نظام للاسباب والنتائج فى سلسلة الاحداث لكى تستخلص منها نظرية الاصول والمبادىء » · وتحت تأثير دراسة الاقتصاد السياسى ولا سيما مؤلفات الفيزيقيين ، اتخذت الحرية أساسا فى التطور التاريخى للنشاط الاقتصادى فى المجتمع وفى مقدمته الزراعة ، وبالحرية صنع الكثير من أجل فهم الخاصية الطبيعية للتطور التاريخى ·

وكانت هذه الآراء المتشابهة مميزة لكثيرين من ممثلى الاستشراق الفرنسى ، فقر أوحت أفكار الثقافة الفرنسية كذلك بالثقافة الليبرالية الراديكالية للمناطق الغربية والجنوبية لالمانيا التى أبغضت الحمى

« الرومانتيكية » الرجعية التى أفسدت الحياة الروحيه للبلاد فى العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر ٠

وكان ظهور شولتز ، عالم المدرسة الفرنسية ، وممثل البورجوازية الليبرالية فى الثقافة الالمانية فى هذا الصدد ـ نموذجا فريدا ٠

انه يهاجم الرومنتيكية فى الاستشراق بقسوة ، وينادى بدراسة الحياة التاريخية الواقعية والايديولوجية السياسية العامة لشعوب الشرق ٠
ولقد كان انسجام كثير من أفكار منتسكيو والمفكرين الآخرين من البورجوازيين التقدميين مع آراء ابن خلدون مما جعل كتاب ابن خلدون « محركا » لا بديل عنه ، وأمكن بمساعدته ـ كما يرى شولتز ـ « أن ينقلب علم الاستشراق رأسا على عقب ، وأن يكون سلاحا جبارا فى أيدى البورجوازية الى حد كبير ، كما كانت الفلسفة وعلم تدوين التاريخ ، ويشير الى التقارب بين أفكار ابن خلدون وأفكار منتسكيو ٠

وبهذه الطريقة يحول شولتز أفكار الثقافة الى أفكار انسانية عامة ، ويقتحم المنطقة المحرمة لرومنتكى القرون الوسطى « فيسكب على الرومنتكيين دلوا من الماء البارد » كما يعبر مؤلف العرض المنوه عنه فى « السجلات التاريخية » ٠

ومن هذا الموقع يشارك فى هذا الاساس كثير من المستشرقين الاوروبيين الذين هم أكثر محافظة على النزعة القديمة ، والذين أدوا ضريبة الرومانتيكية المعروفة ٠

رضوان ابراهيم (*)

(*) هذا آخر بحث كتبه لمجلتنا الاديب المصرى الفقيد رضوان ابراهيم الذى غادر عالمنا يوم عيد الاضحى الماضى ٠ وإذ ننشر هذا البحث اعتزازا بالتعاون الذى كان قائما بيننا وبين الأديب الراحل ، فاننا نعد القراء بنشر نبذة عن آرائه ومراسلاته مع أدباء تونس فى عدد قادم ٠

بيتنا المسحور *

شعر : نهاد رضا
(سوريا)

بيتنا راقدٌ في ظلال الشجرْ
ههنا .. أو هنا .. غاب عني الأثرْ
ذاكرٌ أنني قد لمحتُ معالمَه في السحَرْ
لست أدري .. لعلّي نسيتهُ .. في ضيعتي في القمرْ
هل تُرى تذكرين .. ؟! ابحثي في الرؤى .. وانظري في الصورْ
هل دعاك إلى المنتهى ؟ .. بيتنا ناطقٌ كالبشَرْ
مثلُهُ لا يُرى .. لا أقول ندَرْ

* * *

ها هو النورسُ الغجَريُّ الذي زهدتْ روحُهُ في البحارْ
وبنى عشّه في الجِوارْ
آتْبعي جنحَه .. بيتنا للطيور مَزَارْ
هل نسيت معالمَه ؟ .. إنهُ صخرةُ الانتحارْ
من ذُراهُ الهوى يرتمي في احمرارْ
يا إلهي ... اهرعي ..
أدركي النورسَ الغجريّ .. لعلّ الهوى قد كواهُ فحارْ

* * *

(*) هذا القصيد من ديوان بعنوان « **أنا وأنت وقوس قزح** » وهو قيد الطبع .

بيتنا .. هل نسيتِ .. !؟ لهُ ألفُ ألفِ مطلْ
إنه جاثمٌ عند سفح الجبلْ
ولهُ شرفةٌ في الذُرى لا تراها المُقَلْ
هل نسيتِ شبابيكَه !؟ .. لونُها كالعسلْ
اذكري لونَها الأخضر .. الأحمرَ .. المنتشي بالقُبَلْ
كيف تُنسى شبابيكُهُ الزرقُ .. والبحرُ فيها امتثَلْ .. !؟

* * *

بيتنا لن يضيع .. فنحن بنيناه في نشوةِ الإنفعالْ
وحقيقتُه قد رستْ كالجبالْ ..
قد رسمنا معا شكلَه المتهادي .. على كفِّنا والرمالْ
بيدٍ ذُوِّبتْ في أناملِها سرحاتُ الخيالْ
اتبعي النورسَ الغجريَّ .. فروحُهُ تهوى المُحَالْ
بيتنا هاهناك أرى طيفَه غارقا في الظلالْ .

ن. ر.

كتب جديدة :

• من منشورات مجلة الحياة الثقافية التى تصدر عن وزارة الثقافة بتونس ، وصلنا مؤخرا ديوان ملحمة شعبية من شعر حسونة الليلى جمعها وقدم لها وشرح ألفاظها محمد المرزوقى وهو الكاتب والاديب الذى تمحض لجمع التراث الشعبى فى ميدان الشعر والامثال والتعريف به، وقد بذل فى تقديم هذا الكتاب واعداده جهدا محمودا.

العودة للضفاف الاخرى

شعر : أحمد المصلح

(من فلسطين) وجده ـ المغرب

تشتعل الكلمات على شفتي
أعراسا تجترح الضوء ،
تشق غبار الحزن الموحل ،
في عينيّ تصير شموسا ،
تمتحن البدء ...
تعانق موتي ...
تبعثني في ذاكرة الزمن الآتي ،
حلما وعدا ...
فجرا عهدا ...
قدرا يهتك ستر الغيب ،،
نبيا يحمل في عينيه نداء الخصب ،
شهيدا يكتب باسم النار ،
تواريخ المطر النازف ..
من أحداق الجرح الظامىء ،
في وطني للثأر ...
إلاها يرسم بالنور ،
شهادة ميلاد الأمل المشرق .
من أعماق الفتح المتجذر ،
في وجه حبيبي الزاحف ...
فوق جسور الألم المزمن ،
يسأل عني ...

يا وجه حبيبي
يا وجه البشر
يا أمل الأحباب الفقراء
يا وعدا ينزف في قلبي ،
نور الاسراء
يحرقني بدموع الأقصى
يمنحني طعم الأشياء
أعترف الآن
أعترف الآن بأني ...
حين تركتك يوما ،
مصلوبا بدموعي فوق الكلمات
ضلّت قدمي
تاهت في وحل المنفى
لعنتني كل الرايات
وأنا أعدو خلف الوهم ،
أدور مع الزمن المغلق
ألهث في أروقة التاريخ الصدئه
أحمل في كفّي وجهي
وأنادي القوس المهترئه
قبسا من فيض المطلق
نفحة نور أزليّه

تسقط من سفر التّكوين
تشعّ بدربي ...
تحرق عقم الكون ،
أعود إليك حبيبي العائم ،
عبر ضفاف الألم المزمن ،
تبحث عني ...
يا وجه حبيبي
ها عدت اليك ،
أعانق جرحك .
أحرق في كفيك غيابي
أتوحّد فيك ،
نسافر فوق خيول النار ،
نموت ونحيا
ثمّ نموت ،
ونحيا ...
نحيا ...
نكتب فوق جبين الدهر ،
نشيد النصر :
وعدا أملا
قدرا لقيا
موتا آخر
يلد الفجر

ا٠ م٠

كتب جديدة :

◆ نشرت الدار العربية للكتاب مؤخرا دراسة عن أبى حيان التوحيدى كتبها الشاعر الشاب على دب ، الذى طالما ساهم بقصائده النثرية على صفحات « الفكر » ونحن نهنئه بهذه الباكورة ونتمنى له اطراد الانتاج ٠

وقد اغتنم النادى الادبى لدار الثقافة ابن رشيق فرصة صدور الكتاب فنظم ندوة نقدية تناولت العمل بالتحليل والنقد ومكنت عددا من الطلبة والشباب المثقف من التحاور مع المؤلف ، ومناقشة بعض آرائه ٠

الموت أساس معادلة الفرح

شعر : محمود علي السعيد

(من فلسطين) (حلب ـ سورية)

كجنون شرارات الموقدِ
في غابات تستلقي
مدّ الاشياء
أغرق في بحر من عشب
يبس الماء
على أغصان سفينته
أتقمص شكل المستقبل
جسدا
تسري الرّوح
فينهض
من أنقاض بساتين الفرحة
عصفور
بحريّ البسمة ، بلديّ القسمات
تستوقفه أشجار
تسهر قرب النهر
على موسيقى الصمت
الصاخبة
تراقص جسد الصحراء
حلم عصريّ
النسغ
يلوح بالقوس
مساحة خيط نسي مكان ولادته
مقصلة
نسيت من فرط سعادتها
ألق الاسماء
يتسع محيطُ الدائرة سماء
تركض في ساحات البحر فراشات
تلبس ثوب الغسق
أساور خوف
تسرح في حزن الآيات غزاله
الموت رساله
تتجسد في الريح حصانا
يكشف سر الفوز
مسيرة زمن
من ضوء أبيض
تنبجس الطلقة من أعضاء الماء
لتنام على نافذة الليل
قصيدة عشق
وخلاصة فرح العصفور الإنسانِ ،
البيتَ ، الشجرهْ
رؤيةَ ثمرهْ
اعتصر الرائحةَ ، العسلَ ، اللونَ ،
أساسَ معادلة الفرح ، الحبِّ ،
الفرحِ ، الحبَّ ،
وطيّرْ في الريح حمامه .

في ذكرى الشهداء

شعر : علي الشافعي

أفريل فيك طلائع الشـــهداء ... خرجتْ تدك مـواقع الأعـــداء
كتل الشباب تدافعت ببسالـــة ... تفدى بأنفسها ربى الخضراء
سئموا ظلاما قد عراهم مـدّة ... فتطلعوا للنـور للأضـواء
ورأوا حياة تحت حكم أجنبي ... لا تُرتضَى من أنفس شمـاء
حملوا السلاح لطرد غاز معتد ... حكم البلاد بسنة الجهـلاء
أجلى بنيها عن خصيب ترابها ... ورماهم في القفر في الصحراء
وتسلمت تلك المزارع ثلـة ... من قومه أو « كمشة » العملاء
فتأججت نار الكفاح بأرضنا ... في الريف في الأمصار في البيداء
قدر علينا أن نشق طريقنا ... وسط اللهيب بعزة وإبـاء
لم يثننا عن قصدنا وجهادنا ... من جاءنا متظاهرا بصفاء
من رددوا دوما على أفواههم ... « لسنا لأهل الغرب بالاكفاء
الكف لا تَسْتطيع صدّ مدافع ... فلتخلدوا للطاعة العمياء »
سرنا بعزم صادق في دربنا ... لم نستمع لنصائح السفهاء
حتى بلغنا في النهاية شأونا ... وأزيل حكم جماعة الغرباء
كم من شهيد في ربى خضرائنا ... روّى زهور حقولها بدماء
فتوردت وجناتها وتطاولت ... مزهوة في عزة لسماء
جاد بأغلى مالديْه فداءها ... من مثله في البذل والاهداء ؟!
دين عظيم في رقاب شبابنا ... حفظ الوفاء لزمرة الشهداء

ندوة القراء

حول رحلة الى اسرة الشابي *

(القسم الثاني)

بقلم : الحبيب محمد علوان

4 ـ نفسية سوية من خلال شعره :

نحن نعرف أن الشابي يعتز بطفولته ، ويحتفظ لها بذكريات جميلة وبمشاعر عذبة ، فيتغنى بها في قصيدة « الجنة الضائعة » قبل وفاته بحوالي سنة ، بما لا أروع ولا أبدع . من ذلك :

قد كنت في زمن الطفولة ، والسذاجة والطهور
أحيا كما تحيا البلابل ، والجداول ، والزهور
لا نحفل ، الدنيا تدور باهلها ، أو لا تدور

كما انه يتحدث عن « الأم » في شعره بما لا يدع ريبة أو حيرة ، أو شفقة ، حيث عاش حياة طبيعية مع «أمه» يجد فيها كل ما تبذله وما تقدمه «الأم» عن طواعية وتلقائية من محبة وعطف وحنان ورعاية وعناية ، وفناء في إسعاد ابنها ، حيث يقول في قصيدة « قلب الأم » ـ وقبل وفاته بثلاث سنوات تقريبا ـ والتي استغرقت ست صفحات في الديوان :

اعرفت هذا القلب في ظلماء هاتيك اللحود ؟
هو قلب امك ، امك السكرى باحزان الوجود

* * *

هو ذلك القلب الذي مهما تقلبت الحياة
سيظل يعبد ذكرياتك : لا يمل ولا يميل

(*) انظر القسم الاول من هذا البحث بالعدد 5 من « الفكر » / فيفري 1976.

ويقول فى قصيدة « حرم الأمومة » ــ وقبل وفاته بحوالى شهرين ــ

حرم الحياة بطهرها وحنانها هل فوقه حرم أجل وأقدس ؟!
بوركت يا حرم الأمومة والصبا كم فيك تكتمل الحياة وتقدس

كذلك نجد شعره فى رثاء والده ، وعمره عشرون سنة ــ قبل وفاته بخمس سنوات ــ فى قصيدته : « يا موت » يدلنا على الود المتبادل بينهما ، وعلى المحبة العميقة المقدسة بين « الابن وأبيه » الى درجة أنه رام الموت وتمناه بدل أن يعيش يتيما محروما من أبيه ، لأنه كل شىء فى حياته فهو : حبه ، وموطن سره ، وغابه ، ومحرابه وأغنيته ، وفجره ، وعمدته ومشورته فى كل أمر ، ودرعه الواقى كل شر ، وهو الوجه الذى لا يعبسه ولا يكدره الا رؤية ابنه حزينا ٠

يا موت ، قد مزقت صدرى وقصمت بالأرزاء ظهرى
وفجعتنى فيمن أحب ومن اليه أبث سرى
وأعده : غابى ، ومحرابى ، وأغنيتى ، وفجرى
ورزأتنى فى عمدتى ، ومشورتى فى كل أمرى

إن شرح هذا وتحليله يطول ، وهو فى نفس الوقت بين وواضح على أن علاقة « الشابى » بأبيه طبيعية ، تخلو من « العقد » ومن أنواع « الكبت » بل أنه يرى : « ما يشقى الذى يقضى الحياة بمثل أمره » !!

كذلك نجد نظرته الى « المرأة » ــ فى شعره ــ نظرة واعية ، فهو يحبها بقلبه وبفكره وبحواسه ، وبفنه ٠٠ فلا تعثر على معنى من معانى « الاحتقار » أو سقطة من سقطات « رد الفعل » أو حركة أو إشارة تبين عن عقدة من « العقد » تجاهها لسبب من الاسباب ــ مثلما نجد عند بعض الكتاب والشعراء والفلاسفة ، قديما وحديثا ، ولن نتورط فنقول : لانه عرف « المرأة » معرفة نظرية مجردة ، قبل زواجه ، فأحب المرأة « المثال » وتغزل بها فى المرأة عموما ٠٠ لأن هذا القول يدحضه شعره ، حيث أنه فى قصائد كثيرة يتحدث عن نساء معينات ، لكل واحدة صفات وسوف اكتفى هنا بالاشارة الى قصيدة « الساحرة » ــ ولعلنى أرى فيها زوجته ــ كتبها بتاريخ 19 جويلية ــ يوليو 1932 وكانت وفاته يوم 9 أكتوبر 1934 يقول فيها :

راعها منه صمته ووجومه وشجاها شحوبه وسهومه
فأمرت كفا على شعره العارى برفق ، كأنها ستنيمه
وأطلت بوجهها الباسم الحلو على خده وقالت تلومه :
خل عبء الحياة عنك وهيا بمحيا،كالصبح، طلق أديمه...

لعلنا قد اتفقنا ـ من خلال شعره ـ على إحساسه السوى ، ووجدانه الانسانى ومشاعره « الطبيعية » ـ كفنان وشاعر فى نظرته الى ما ومن حوله ـ فلم نلحظ ضيقا أو تبرما أو شكوى من « أشياء » أو « تصرفات » أثارته ، أو تركته يحتفظ بذكريات مؤلمة أو مثبطة تجاه : طفولته ، أو علاقته بأبيه أو بأمه أو بمن عرفهن أو أحبهن من « الجنس الآخر » بما فى ذلك زوجته .

ولا أعتقد أن حديثه عن هؤلاء جميعا ، جاء مطابقا لما يجب أن يكون فى ذهنه وفى خياله وأحلامه من سمو وقدسية ونموذجية ومثالية ، وهو الشاعر الرومانتيكى . فصب تلك « الصور » أو « النماذج » فى هذه القوالب من النغم.. حيث تكون نظرة الشاعر باستمرار وتقديراته ميالة الى النموذج والمثال .. وبذلك فحسب يكون اقتناعه .. فعالم الخلق والابداع لديه يستأثر به « المثال » فى الحسن والقبح « الفنيين » فهو يصور ما يجب أن يكون ، أو ما يجب أن لا يكون .

لهذا سوف تبقى معرفتنا أو اطلاعنا بمن أو بما حوله محدودة ، وواحدية المصدر ـ الذى هو شعره فقط ـ الأمر الذى يجعلنا غير مطمئنين الى تلك « الاستنتاجات » حتى تظهر مصادر أخرى مع شعره تؤكد لنا أو تضيف ما يمكن إضافته الى معارفنا عنه .

5 ـ مصادر شاعريته :

المؤثرات ـ وقد أقول المصادر ـ لشاعريته غير مكتملة الوضوح « علميا » أو « موضوعيا » بالاضافة الى انفراده بذلك عن أقرانه ومعاصريه و « اخوته » وقد كانت وسائل المعرفة والاطلاع لديهم أكثر تنوعا ، ولا أريد أن أتطرق هنا الى ما يسمى « الموهبة » أو « الالهام » .. إذ ليس ذلك أكثر من « استعداد » أو « ميل » ينمو بالرعاية والعناية ويخبو بالاهمال .. وأمام هذا « تتراجع كل

الأفكار التي تزعم أن الأديب إنسان ملهم ، توحى اليه الآلهة (4) أو الشيطان (5) بشعره » ٠

إذن فما هى « الرعاية » أو « العناية » التى كان يلقاها « الشابى » والتى خلقت منه شاعرا عبقريا ، لأن بعضهم يوعز بشىء من شاعريته الى تأثير « الطبيعة » الجميلة فى تونس ، وهذا يسرى على غيره فلماذا لم يزهر شعرا ؟! وآخرون يضيفون الى ذلك « تأثره بأدب المهجر » وهذا ـ أيضا ـ شمل غيره فلماذا لم يثمر أدبا ؟! وعندئذ نقول كذلك : لكتابه « الخيال الشعرى عند العرب » اتصال بكتاب : « الغربال » لميخائيل نعيمة ، ولكننا نلحظ للشابى شخصيته وأصالته وتفرده مما يجب بحثه فى مكانه ٠

وهل نقول كذلك : إن « الألم » ساهم فى خلق عبقريته الشعرية ، وأمدها بالعمق والتفرد والشفافية المتوغلة فى الصوفية أحيانا ٠ فكانت بمقام « التعويض » أو الدافع ويضيق المجال لو أشرنا الى نتائج النقاد والعلماء فى اتصال « العبقرية بالألم » ولكنى سأذكر مثالا واحدا له اتصال مباشر بالعبقرية والألم ـ وليس كدارس ملاحظ فى غيره من بعيد ـ ذلك هو الكاتب القصصى ـ المسرحى « انطون تشخوف » (1860 ـ 1904) عانى « الألم » فى نفسه وفى غيره ـ كان طبيبا ومات بداء الصدر ـ وانصرف للأدب والفن فترك تراثا ضخما، ظهرت فيه عبقريته ٠٠ وقد عالج فى مسرحيته : « النورس » (1895) « مشكلة العوامل التى تخلق الفنان الموهوب ، فكل من البطلين الشابين « كونستانتين » و « نينا » يحاول النجاح فى مضمار خاص من الفن ٠٠ هذا فى الكتابة ، وتلك فى التمثيل ٠٠ والأمر المهم فى نظر تشيخوف هو مثابرة « نينا » فى طريقها الى النجاح ، فهى تتحقق أخيرا من أن « الألم » هو الذى يخلق الفنان المبدع ، لأنه يكون عنده قدرة على الاحتمال تمكنه من متابعة سيره وتحقيق أهدافه ٠٠ » تقول « نينا » : « ان ما يهمنا سواء كنا كتابا أو ممثلين ليس هو الشهرة أو التألق أو تحقيق الأحلام ، وانما هو القدرة على التحمل ٠ تعلم كيف تحمل صليبك وتحتفظ بايمانك » ٠

ونلاحظ هنا ليس المقصود بالألم ـ فقط ـ ما كان سببه المرض والعاهات ، بل هو كل ما يثير ثورة فى النفس فيتحرك « الانسان » أو يستعد ـ فكريا

---

(4) عرف ذلك عن قدماء اليونان ٠
(5) عرف ذلك عن شعراء العرب ٠

ووجدانيا ــ ليبدع وينشىء أو يغير ما كان راكدا وجامدا · وقد يكون « تطهيرا » ــ كما أشار ارسطو ــ ذلك الأثر الفنى لمبدعه أو لمتلقيه ·

6 ــ نقمته وتمرده :

ما تقدم يطرح من جديد : قضية نقمة الشابى وتمرده :

يا ربة الشعر والأحلام غنينى ... فقد سئمت وجوم الكون من حين
على الحياة أنا أبكى لشقوتها ... فمن إذا مت يبكيها ويبكينى ؟
يا ربة الشعر ، غنينى ، فقد ضجرت ... نفسى من الناس أبناء الشياطين

وهكذا هرب الى « الطبيعة » لأن الواقع البشرى البائس لبنى قومه يضيق عن أحلامه وأفكاره وأمانيه ، شأنه شأن الرومانتيكيين :

يا لها من معيشة فى صميم الغاب ... تضحى بين الطيور وتمسى !
يا لها من معيشة ، لم تدنسها ... نفوس الورى بخبث ورجس
كان فى كوخه الجميل مقيما ... يسأل الكون فى خشوع وهمس
عن مصب الحياة ، أين مداه ؟ ... وصميم الوجود ، أيان يرسى ؟

وقد رأى نفسه « النبى المجهول » فوقف خطيبا ــ يذكرنا بالحجاج بن يوسف فى أهل العراق ــ

أيها الشعب ! ليتنى كنت حطابا ... فاهوى على الجذوع بفاسى !
ليتنى كنت كالسيول إذا سالت ... تهد القبور رمسا برمس !
ليتنى كنت كالرياح ، فاطوى ... كل ما يخنق الزهور بنحسى !

لأنهم « لم يفهموا أناشيده ولا معانى بؤسه » ·

لكن حبه لشعبه ولأمته ووطنه ، ثم احساسه العميق بالحقيقة ، وما لذلك من تأثير على قلبه ووجدانه ·· نثر أمامنا وأمام نفسه المتألمة « الأسباب » التى أحدثت تلك « الهوة » بينه وبين شعبه ــ حتى يبرىء نفسه من الحقد والضغينة وتبقى النقمة قائمة ــ فخطب وقد تأسى لنفسه وتألم متفردا :

أيها الشعب ! أنت طفل صغير ... لاعب بالتراب والليل مغس !
أنت فى الكون قوة لم تسسها ... فكرة عبقرية ، ذات بأس

أنت في الكون قوة كبلتها ظلمات العصور من امس امس ٠٠
والشقي الشقي من كان مثلي في حساسيتي ورقة نفسي

لقد كانت له الثقة بالشعب ، فكتب سنة 1933 ـ وقبل وفاته بسنة تقريبا قصيدة « ارادة الحياة » وهي أروع ما كتب الشابي :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر
« اذا طمحت للحياة النفوس فلا بد أن يستجيب القدر ! »

7 ـ إحساس بالبيئة والعصر ٠٠ وظهور « الفردية » :

لقد كان الشابي معبرا عن عصره ومتفاعلا معه ، ومع بيئته ، فرصد عن قرب: الظلم والتضليل اللذين كانا يحكمان شعبه،ويرهقان وجوده: الاستعمار الفرنسي والرجعية ـ ومن ارتبطت مصالحه بهما ـ فنشرا الجهل والمرض والفقر ٠٠ وعندئذ لا بد من ظهور « العبقريات الفردية » وقد تجمع فيها أو نما ما افتقد أو أخمد ـ لملابسات وظروف ـ في الآخرين ٠٠ ذلك لأنه أوان ظهورها ، فكان « الشابي » عبقرية فردية في مجاله ـ مثلما وجدت عبقريات فردية ، أخرى في مجالاتها ـ وحينئذ تجد هذه الفردية فرصتها في الالتفاف حولها ـ أو الخروج عليها ـ وهكذا تكتسب « المحورية » في قرارة نفسها ولدى الآخرين ٠

والقيادة الفردية أو الانقياد للفردية ، ظاهرة عرفها الانسان منذ شروعه في البحث عن « إله » يحتمي به ، ويقدم اليه القرابين ، متى رأى فيه جانبا من جوانب القوة أو العظمة أو عجز عن تصوره أو الاحاطة به ، لأن « البطولة ـ الفردية » ـ مهما يتنوع مدلولها فانها لا يمكن أن تتفق مع الحتمية العلمية ، هي بعد ذلك تشد الأنظار والقلوب والعقول ـ احيانا ـ اليها وتسد المعالم والطرق عن اكتشاف آخرين ، وقد تنتهي ظروفها قبلها ، لكنها تبقى قائمة مسيطرة على تفكيرنا وسلوكنا ، مع تطور الزمن وتقدمه ، وتغيره ، وقد تصبح من « الثوابت » لكل عصر ، لأن « المطلق » و « المثال » و « الفرد » يشد انتباهنا أكثر من غيره !٠ ولأننا عندما نحاول بحث الظاهرة ـ نخرج بها عن إطارها الحقيقي ، ونعطيها تعميمات تنسينا الدقة معها ، ونتخاذل في البحث عن الجذور متسرعين الى السطح ، فتكون المفاهيم أو « النتائج » ذاتية تأثرية ، ولذلك تبقى « الظاهرة » باستمرار تملأ علينا حياتنا ، لأنها لم تستوف حقها ، بحثا وموضوعية ٠

ومن هناك يكثر تعدد أو تعاقب الباحثين ـ وبتسمية أدق ـ المتكلمين عن تلك الظاهرة مع عدم التوصل الى نتائج جديدة أو هي ذات أهمية ٠

8 ـ خاتمة : في منهج لدراسة « المبدع » :

رأيت أن أختم ملاحظاتي بالاشارة الى مذهب « سانت بيف » 1804 ـ 1869 » في النقد أو البحث الادبي ، حيث « ٠٠ دعا الى دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم وأممهم ، وعصورهم ، وآبائهم ، وأمهاتهم ، وأسرهم ، وتربياتهم ، وأمزجتهم ، وثقافاتهم ، وتكويناتهم المادية والجسمية ، وخواصهم النفسية والعقلية ، وعلاقاتهم بأصدقائهم ومعارفهم ، مع التعرف على كل ما يتصل بهم من عادات وأفكار ومبادىء ومع محاولة تبين فترات نجاحهم واخفاقهم ، وجوانب ضعفهم وكل ما اضطربوا فيه طوال حياتهم في الغدو الرواح وفي الصباح والمساء » :

ولقد حدد « سانت بيف » منهجه بقوله : « ٠٠ والمسألة الجوهرية ٠٠ هي الاحاطة بالانسان وتحليله في اللحظة التي تظافرت فيها عبقريته وثقافته وكل ظروفه الاخرى ، فجعلته ينتج كتابه القيم ، فاذا فهمت الشاعر في هذه اللحظة ، واذا حللت هذه العقدة التي فيها يتجمع كل شيء في نفسه ، واذا وجدت مفتاح هذه الحلقة الغامضة التي تربط وجوده الثاني المشع المتألق الجليل بوجوده الأول الغامض المنزوي المتواري الذي قد يريد الشاعر محو ذكراه ، آنذاك يمكن أن يقال انك نفذت الى جوانب شاعرك وانك على علم به ٠ »

ويقول عنه الدكتور غنيمي هلال في كتابه « الرومانتيكية » : « وسانت بيف يعتمد على ملحوظاته الدقيقة في حياة الانسان ليفسر بها انتاجه ، ويبين أي نوع من الناس هو ، وأثر حالته الطبيعية أو المرضية ، ودلالة الصور التي يستعملها على استخدامه لحواسه وقواه ٠٠ فالنقد على حد تعبيره : « يعلم الآخرين كيف يقرأون ؟ » ثم على النقد بعد ذلك أن يتجاوز القيم الجمالية الى بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف » ٠

وقد تردد كثيرا في شعر الشابي (1909 ـ 1934) ذكر المرض والموت والحب والحياة ٠٠ لكنه أتى في أوانه ومات في أوانه بعد أن قال كلمته ـ وعمر الانسان لا يقاس بالسنوات ، بل بأشياء أخرى كثيرة ـ :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

* * *

إن ذا عصر ظلمة غير أني من وراء الظلام شمت صباحه

ح٠ م٠ ع٠

مطالعات

«جماعة تحت السور»

تأليف : رشيد الذوادي
عرض : الحبيب هوله

أصدر الأديب رشيد الذوادي كتابا جديدا بعنوان : « **جماعة تحت السور** » يقع هذا الكتاب في 214 صفحة ، احتوى على مقدمة : (3 صفحات) وعلى : « اضاءه عن الأدب التونسي الحديث » (17 صفحة) ، ثم : « عصر جماعة تحت السور » (6 صفحات) ، ثم على : « دوريات اصدروها » : (76/4 9) ، ثم على : « شخصيات فنية خرجت من (تحت السور) » ، ثم على «دراسات : تخص عبد الرزاق كرباكة ، ومحمد العريبي ، وعلي الدوعاجي ، ومحمود بورقيبة ، ومحمود بيرم التونسي ، وغيرهم .

ومن خلال جولة في هذا الكتاب تلمح ان الأدب في نظر مؤلفه معاناة وتأمل وتحليل لأوضاع العصر ومشكلاته . وان الأديب الحق ليس كل من يحمل القلم ويخط سطورا على صفحات الزمن ، وانما هو المعبر عن المشاعر الصادقة والعقائدى الذى يحمل فكرة ، ومن يتألم ويشقى ليضىء على غيره .

ومن الآراء التي جاءت في مقدمة كتابه : (لا بد أن يخوض الأديب المعركة لبقاء الأصلح) و (عملية الخلق تؤكد على الأديب أن يبادر بالتأمل في واقع عصره) و (عليه أن يفكر فيما يلمسه من متناقضات تأباها نفسية الأديب كمبدع وكمفكر وواع في أمته) و (الخلق إسهام في صنع الحياة) و (الأديب مسؤول مطالب بأن يتخلص من الترهات والاهتمامات الشخصية ، هو لا يصل الى الرفعة والسمو الا اذا اندفع في سبيل صنع الحياة ، وتطهير الضمير) .

وفي « اضاءة عن الأدب التونسي الحديث » ابرز رشيد الذوادي جل التيارات الفكرية والأدبية التي ظهرت في بلادنا منذ عام 1830 (تاريخ احتلال الجزائر) تحدث عن جيل خير الدين التونسي ، وعن جماعة الرائد الرسمي التونسي ، وعن عهد الحماية ، وعن الأدباء المكافحين فيها ، وعن ألوان ومضامين الأدب التونسي ، وعن أهم فترات خصوبة هذا الأدب : (1914/

1956) ، وعن تيارات مرحلتي « الوعي الوطني » : (1914/1939) والكفاح التحريري (1952/1956) اذ بعامل هاتين المرحلتين تولد أدب تونسي ، يحمل افكارا تونسية ويعالج أوضاع الشعب وطموحاته ٠

أما عصر « جماعة تحت السور » : (1914/1952) فهو عصر مضطرب بالاحداث قضى الاستعمار فيه على معنويات الشعب التونسي ، وعلى حقوقه ، وعانت فيه : « جماعة تحت السور » جميع الأزمات ، حز في نفوسهم ان تهدر حقوق الشعب والايصان له شرف ، وان يضيق عليه الخناق ، فثاروا وكافحوا ، وتعرض بعضهم الى السجن والى النفي والتشريد ، والبطالة ، وحتى الى تعطيل صحيفته وانتاجه ٠

لقد تألم « جماعة تحت السور » وهم « الحساسون » لما لمحوا الفقر وامتلاء الشوارع بالمتسولين وبالمرضى وبالعاهرات ، وأحسوا بتدهور الوضع الاقتصادي ، الذى أقيم على الاستغلال ، وعلى انحطاط مستوى العيش ، وغلو الاسعار ٠

وقد كان لبعض هؤلاء وقفات جريئة ، في التعبير عن اصالة الشعب ، وقدراته الذاتية ويبرز الأديب رشيد الذوادى ، في كتابه مميزات أدب هذه الجماعة ، وجلساتهم وسهراتهم ومراحل نشاطهم في كل من :

- المجالس الاولى : (1914/1929)
- المجالس الثانية : (1929/1943)
- المجالس الثالثة : (1945/1952)

عرفنا الذوادى في كتابه عن بداية بروز هذه الظاهرة في باب السويقة : (1914) كظاهرة فنية ، على يد محمد المغيربي ، وأحمد بطيخ ، ومحمد القادرى ، وخميس العاتي ، وخميس ترنان ، والطاهر عبو ، وموني الجبالي ، وسيمون اميال وغيرهم ٠

وعن المجالس الثانية التى انعقدت فيما بين اعوام : (1929/1943) في مقهى « سيدانة » أو مقهى « تحت السور » والتى ابتدأت بالتحاق الشعراء بالموسيقيين ، في جلسات « تحت السور » ثم تبعهم الممثلون والصحافيون والقصاصون والنقاد ، ومن ابرز من كان يحضر هذه الجلسات : كرباكة ، والدعاجي » والعبيدى ، والمهيدى ، وخريف ، والعروى ، ومحمود بورقيبة ، وبيرم التونسي ، والهادى الجوينى ، وعلى الجندوبى ، ومحمد بن فضيلة ، ومحمد المرزوقى ، ومحمود أصلان ، وعمر الغرايرى ٠

اما المجالس الثالثة : (1952/1945) فيقول عنها المؤلف أنها تميزت بقصرها ، كانت تضم بعض الشعراء ، والصحافيين والممثلين والموسيقيين ، وتقع كل ليلة اما فى « مقهى خالى على » أو فى « مقهى الغربى » بنهج الكبدة بتونس .

ويلخص الكاتب مذهب هذه الجماعة ، فيما يلي :

- تضامنهم فى الافراح والاتراح .
- تشابههم فى المشاعر والاحاسيس .
- حبهم للأدب وميلهم ، الى حياة البوهيم .
- اتفاقهم على النقمة والتمرد .

ونصل مع المؤلف الى القسم الاخير من كتابه : « أدباء وصحافيون » للتعريف بدورهم فى الحياة الاجتماعية والأدبية ، وما كان لهم من فضل فى ابراز الذاتية التونسية ، ومدى دفعهم ، لعجلة التطور الذهنى ، فى تلك الفترة التى كان الشعب التونسى ، يصارع مرارة البؤس والحرمان من ذلك الدخيل ويبدأ بـ :

أ) **عبد الرزاق كرباكة** (1945/1901) الأديب الشاعر الذى : « مارس مختلف الفنون الأدبية طيلة ربع قرن » .

ب) **على الدوعاجى** (1949/1909) هذا الكاتب الصحفى الذى كان محبا : « للاسفار ومن الفنانين المؤمنين بفنهم الى حد التقديس ، ومن المولعين باللهو والنكتة » .

ج) **محمود بورقيبة** (1956/1908) هذا الشاعر الأديب والصحفى كان له دور كبير فى اثراء الحياة الأدبية ، وتأثير فى تطور الأغنية التونسية .

د) **محمد بن فضيلة** (1957/1911) كان شاعرا بالعامية وداعية من دعاة الأدب الواقعى وممن ناضلوا بجانب الفقراء والمعذبين بوجه عام .

هـ) **محمود بيرم التونسى** (1961/1883) وهذا الكاتب القدير ، والقصاص الخبير ، والزجال الشهير ، كان من أبرز الكتاب الذين أحبوا الفن وماتوا فى سبيل الفن .

و) **زين العابدين السنوسى** (1965/1901) شب طموحا منذ الصغر ، وتعلق بميادين الاصلاح ، وهام بالأدب والصحافة والتاريخ منذ نعومة أظفاره ، وكانت مجلة « العالم الأدبى » التى كان يصدرها ملتقى لأقلام جماعة تحت السور ، وكان منطلقا لحركة أدبية تونسية صميمة .

ز) **علي الجندوبي** (1909/1966) أو شاوش الهيئة الاجتماعية ، كما كان يحلو له ان يلقب نفسه : « لم يحرز على شهادة، ولا ظفر بزوجة كابناء الأرض، ولا بابناء ، ولا ببيت ، إن كل ما تحصل عليه هو كثرة صداقته للادباء ، والمطربين والمطربات » .

ح) **أحمد خير الدين** (1906 ــ 1967) هذا الكاتب الأديب كانت له عدة ميادين فنية تمثلت في الرواية والمسرحية والقصة وقرض الشعر وكتابة الأغاني .

ط) **مصطفى خريف** (1909/1967) خريف الذى عاش حياة بوهيمية وأحب حلقات « تحت السور » واكب تاريخنا السياسى والفكرى أكثر من أربعين سنة .

ى) **محمد صالح المهيدى** (1902/1969) المهيدى مثقف بلاجدال ، ويعد من جماعة تحت السور المحرز على شهادتين وبالاضافة الى هذا فقد كان من الشبان العصاميين الذين برزوا بفضل تكوينهم الشخصى .

ص) **عبد العزيز العروى** (1898/1971) وهذا الصحفى اللامع قد ساهم مساهمة كبرى فى توعية الجماهير الشعبية عن طريق الاذاعة،وهو بحق صحفى الشعب ، بما كان له من سحر بيان وقدرة على حبك المواضيع ومعالجتها .

ع) **الهادى العبيدى** « يعد العبيدى من أبرز الصحفيين التونسيين فى النصف الثانى من هذا القرن ، فقد مارس جميع ألوان الكتابة الصحفية ، ومعظم مواضيعه الصحفية الجادة تتناول قضايا الشعب وحرية الوطن ، وكفاح المجاهدين ، ونقد الاوضاع السياسية والاجتماعية والتبشير بالفجر الجديد » صفحة 199 .

ف) **محمد المرزوقى** ، و « تمكن المرزوقى ــ بفضل عصاميته ــ أن يصبح فى 1935 أصغر مؤلف تونسى فى هذا القرن ، حيث نشر وعمره (19 سنة) كتيبا صغيرا قدمه له الطيب العنابى وعنوانه : « آراء وعقيدة أبى العلاء المعرى » صفحة 205 .

هذه رحلة مع المؤلف ليست مكتملة ، بل هى وقفة فى الطريق المفتوح ، تبرز لك الملامح الاساسية « لعالم تحت السور » وتعد هذه الدراسة نقطة انطلاق لزيادة العناية بدراسة هذه الحقبة الخصبة من تاريخ أدبنا التونسى الحديث .

اضواء الفكر

◆ **جوائز أدبية وفنية بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال :**

أجريت مسابقات خاصة بالذكرى العشرين لاعلان الاستقلال ساهم فيها عدد من الادباءوالفنانين وكان من نتائجها أن أسندت الجوائز التالية :

★ الجائزة الاولى للملصق الجدارى (ومقدارها 700 دينار) أحرز عليها الرسام عبد العزيز شيتة .

★ جوائز القصة القصيرة فاز بها السادة : عبد الرحمان عمار (300 دينار) عن قصته : « أنت ذراعى وذواع وطنك يا ولدى » . أحمد القديدى (200 دينار) عن قصته : « الموت من أجل الحياة » . الصادق الزناقى (100 دينار) عن قصته : « أنا وأمى » .

★ فاز بجوائز قصص الاطفال كل من السادة : محمد الحبيب بن سالم (300 دينار) عن مجموعة من 8 قصص . عبد القادر بن هادية (200 دينار) عن قصته : « مذكرات طفل » . عبد الوهاب الفقيه رمضان (100 دينار) عن قصته : « حكاية الشمس المشرقة » .

★ بالنسبة للشعر القابل للتلحين فاز السيد محمد الشعبونى بمبلغ (100 دينار) عن قصيده الذى طالعه : « أيها العيد المفدى » ، كما فاز السيد أحمد المختار الهادى بمبلغ (200 دينار) عن نشيده الذى طالعه : « يسجل تاريخنا الزمان » .

★ أما العكاظية فكانت جوائز الشعر الفصيح فيها كما يلى :

— « دوى النفير فضاقت الساحات » **للشاذلى عطاء الله** (ألف دينار) .

— « ابنى والافراح تغمر قلبك الطفل السعيد » **لعلى خشارم** (600 دينار) .

— « خصالك الغر إن رمنا لها عدا » **للهادى الشمسى** (600 دينار) .

— « مواكب أنوار بها العيد يظهر » **لمحمد المنوبى سعيد** (400 دينار) .

— « جهادك فاسلم أيها الوطن حر » **لجلال الدين النقاش** (400 دينار) .

ـ « تونس حررت فنالت مناها » **للطاهر القصار** (400 دينار) ·

ـ « فز بالخلود ودم لتونس عيدا » **لمحمد الشعبوني** (200 دينار) ·

ـ « بشائر العيد هلت في مغانينا » **لمصطفى الحبيب بحري** (100 دينار)·

ـ « انت بين الشهور يا آذار » **لمحيي الدين خريف** (50 دينارا) ·

ـ « وطني الحر تاه في مهرجانه » **لمحمد لنلة** (50 دينارا) ·

ـ « ارفعوه فوق النجوم لواء » **لمحمد بن حميدة** (50 دينارا) ·

ويسر مجلة « الفكر » أن تهنىء كافة الفائزين بالمكافآت التى حصلوا عليها متمنية لهم مزيدا من الفوز ·

• الرئيس يشرف على مهرجانات الذكرى المئوية لتاسيس « الصادقية » :

يوم 27 فيفرى الماضى أشرف السيد رئيس الجمهورية بالمدرسة الصادقية بالقصبة على حفل لطيف ضم قدماء خريجى الصادقية وتلامذة أقسامها النهائية ، رمزا لترابط الاجيال وتلاحمها عبر تاريخ تونس ، وتخليدا للذكرى المئوية لتأسيس المدرسة الصادقية ، باعتبارها منطلق تونس فى سبيل الاخذ بأسباب الثقافة العصرية · وقد قدم السيد صادق الزمرلي بوصفه عميد خريجى هذه المدرسة المشعل الى الرئيس الذى سلمه بدوره الى أصغر التلاميذ ·

ثم ألقى السيد إدريس قيقة وزير التربية القومية كلمة تقدم إثرها أصغر التلاميذ وأهدى شعار الذكرى للرئيس الذى تولى بعد ذلك توزيع الجوائز على المعاهد الفائزة فى المباريات الرياضية التى جرت بمناسبة هذه الذكرى بين المعاهد الثانوية للعاصمة ·

• اتحاد الكتاب التونسيين ينظم ملتقى لوضع برنامج عمل سنوى :

نظم اتحاد الكتاب التونسيين ملتقى يوم 14 فيفرى الماضى حضره أعضاؤه لوضع برنامج عمل لسنتى 76 ـ 77 ، كما أقام بنفس المناسبة حفل تكريم للاعضاء الذين صدرت لهم كتب فى الستة أشهر الاخيرة من سنة 1975 وهم السادة : محمد صالح الجابرى ، الهادى المدنى ، التهامى نقرة ، سمير

العيادي ، أحمد بكير محمود .

ثم وقع تقديم المشروع الذى أعدته لجنة فرعية ، ونوقش من طرف الحاضرين ، وأخيرا وقع الاتفاق على محتواه ، وقد تناول أبوابا رئيسية ثلاثة :

- النشاط الداخلي ومقر الاتحاد : (عمل الكتابة العامة ، تنشيط الحضور بالنادى ، تنظيم المكتبة وإثراؤها) .
- العلاقات الخارجية (سواء مع المؤسسات الثقافية بتونس أو مع الاتحادات الاخرى بالبلاد الشقيقة والصديقة) .
- الندوات والملتقيات ، وهذا على الصعيد القومي (للتباحث فى مشاكل النشر ثم الثقافة والتعليم) ، وعلى الصعيد الدولى بالتعاون مع المركز الثقافى بالحمامات (لعقد ملتقى للقصاصين الشبان العرب ، وآخر حول ربع القرن الاخير من الشعر التونسي) .

◆ **معهد ابن شرف يحتفل بالاستاذ محمد مزالى :**

نظم نادى الكتاب بمعهد ابن شرف ندوة فكرية حول كتابى الاستاذ محمد مزالى (مواقف) و (وجهات نظر) حضرها المؤلف . وقد قدمت فى الندوة أربع دراسات امتازت بالمنهجية العلمية واعتمدت التيارات النقدية الحديثة وهى : **مسؤولية الكتابة من خلال آثار محمد مزالى** ، قدمها الاستاذ محمد النابلى . **الأصالة ودورها فى البناء الحضارى** ، قدمها الاستاذ رفيق بن حمودة . **الأصالة بين التراث والتفتح** ، قدمها الاستاذ عبد العزيز الهانى . **المقدمات المنهجية فى آثار الاستاذ مزالى** ، قدمها الاستاذ أبو يعرب المرزوقى .

كان مدير المعهد الاستاذ محمد زبونة هو الذى افتتح الندوة واضعا إياها فى إطار ما درج عليه النادى من دراسة آثار فكرية وأدبية لاعلام الادب التونسى المعاصر للتعرف على معالمه وخصائصه ، وللقضاء على مركب النقص عند بعض المثقفين التونسيين إزاء أدبهم وحضارتهم وتراثهم .

شارك فى الندوة أيضا عدد هام من التلامذة ودارت أسئلتهم واستفساراتهم حول قضايا حيوية وجدية من محاور ما جاء فى انتاج المؤلف أو مما يشد اهتماماته على صعيد الفكر أو الحياة العامة ، من ذلك : الحرية والمسؤولية وعلاقتهما بالادب . الادب ودوره فى الكفاح الفلسطينى . الرياضة وعلاقتها

بالتكوين التربوى • وظيفة اتحاد الكتاب التونسيين • ظروف تأسيس مجلة الفكر • تحديد النسل وعلاقته بالنهوض الاقتصادى •

فى كلمته نوه الاستاذ محمد مزالى بمجهود نادى الكتاب بالمعهد فى تكريم الادباء التونسيين معتبرا أن تنظيم هذه الندوة يتجاوز شخصه ليكون تكريما لادباء تونس ومفكريها جميعا • ثم أثار مسائل تتعلق بمفاهيم المسؤولية والالتزام فى الكتابة كما يراها مشيرا الى أنه يدعو فى كل ما أنتج الى احترام الذات الفردية والذات الجماعية ، والى ما يدعم احترام التونسى لنفسه كفرد وكمجموعة • وقال إن حرية المفكر تتمثل فى عدم التمذهب الأعمى لأن المذاهب الجاهزة مصيرها أن تهرم فتفنى ولا يبقى بعد ذلك سوى توق الانسان الى المحبة والتضامن ، والى استنباط علاقات جديدة بين الناس بعضهم مع بعض ، وبين الناس والسماء • ويرى الكاتب أن شر ما يصيب المثقف هو تمسكه بمذهب دون آخر دون الانتباه الى نسخ الحياة المتجددة التى لا تفتأ تقضى على مذهب لتهب الحياة لغيره •

واعتبر الكاتب أن الالتزام قول وعمل ، وأن قيمة الأثر تظهر فى سلوك صاحبه اذ الالتزام يتطلب صفات نضالية منها القدرة على محبة الناس وقبولهم بعظمتهم وحقارتهم ، وهذا معنى الجدلية مع الواقع •

ونفى الاستاذ مزالى فى ختام كلمته أن يكون هناك تضارب بين الأصالة القومية وما ننشده من إحياء للتراث العربى عموما • واعتبر أن فى تشجيع الألوان الجهوية ــ لا النزاعات الجهوية ــ إسهاما فى ازدهار الثقافة العربية التى اليها نطمح واليها نسعى •

• « الشخصية التونسية » فى منزل بورقيبة :

نظم نادى الكتاب التابع للجنة الثقافية بمنزل بورقيبة يوم 16 مارس 1976 ندوة حول كتاب « الشخصية التونسية » من تأليف : البشير بن سلامة وقد أدار الحوار الاستاذ بدر الدين بن سليمان على أساس دراسات ثلاث قام بها ثلة من الاساتذة أتاحت الفرصة للمؤلف ليوضح عدة نقاط حول مقومات « الشخصية التونسية » وحول منهج الكتاب •

• **أسبوعان للثقافة التونسية بالكويت والعراق :**

بين أواخر فيفرى وأوائل مارس الماضيين انتظم أسبوعان للتعريف بأوجه الثقافة فى تونس بكل من الكويت والعراق الشقيقين ؛ وقد اشتمل على عدد من المعارض أحدهما للفنون يضم 60 لوحة ، وثان لصور وثائقية ، وثالث للازياء الشعبية ، ورابع للكتاب التونسي • كما أمكن لجمهورى الكويت والعراق أن يتعرفا على المعالم الاسلامية القديمة والعصرية من خلال مخطوطات أثرية وصور ، بلغ عددها الثمانين •

ألقيت خلال الاسبوعين عدة محاضرات أدبية وتاريخية قدمها الاساتذة :

– محمد صالح الجابرى وكانت محاضرته عن القصة التونسية ، تاريخها وأهم اتجاهاتها •

– محمد الدولاتلي وقد حاضر عن مدينة تونس ومعالمها وعمرانها •

– ابراهيم شبوح وقد تطارح مع نخبة من الباحثين الصلات الحضارية بين تونس وبغداد •

– د• هشام بو قمرة تناولت محاضرته (المدرسة النظامية ببغداد) •

كما قدمت الفرقة القومية للفنون الشعبية بمشاركة منتخب من الاذاعة والتلفزة الوطنية عروضا فنية وفلكلورية •

• **أنموذج لقانون حقوق التأليف بالبلدان النامية :**

انعقدت بتونس ندوة ضمت أواخر شهر فيفرى الخبراء الحكوميين قصد وضع أنموذج لقانون المؤلف تستعين به البلاد النامية لصياغة قوانينها الخاصة بها ، وقد حضر الافتتاح السيدان محمود المسعدى وزير الشؤون الثقافية والمدير المساعد لمنظمة اليونسكو ، ونائبة المدير العام للمنظمة العالمية للملكية الفكرية ، وألقى كل منهم كلمة بالمناسبة •

وقد ترأس هذا المؤتمر الذى استضافته الحكومة التونسية الاستاذ رفيق سعيد رئيس الوفد التونسي وتواصلت اشغاله أسبوعا كاملا ، وقد انعقد بالتعاون مع منظمة اليونسكو والمنظمة العالمية للملكية الفكرية ، وحضره قرابة 25 نائبا من الدول الافريقية والآسيوية ومن دول أمريكا الجنوبية ، إضافة الى عدد هام من الملاحظين •

• مؤتمر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ينعقد بتونس :

وصل الى تونس فى بداية الشهر الماضى وفد عن اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين يضم الاخوان : حنا مقبل ، غانم زريقات ، وخالد أبو خالد للنظر فى الترتيبات الاولية التى يتطلبها عقد المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين • وقد أجروا عددا من الاتصالات مع المسؤولين فى الحزب الاشتراكى الدستورى واتحاد الكتاب التونسيين لهذا الغرض •

• من النشاط الثقافى بالكويت الشقيق :

أقامت الجمعية الثقافية النسائية الكويتية مؤخرا أمسية شعرية اشترك فيها : الشاعر التونسى الشاذلى زوكار مستشار سفارة تونس بالكويت ، والشاعران الكويتيان خليفة الوقيان ، وعبد الله حسين • ولقد كانت أمسية ثرية بما ألقاه الشعراء الثلاثة فيها من قصائد استمتع بها الحاضرون من مختلف المثقفين العرب ، المتعايشين بالكويت •

• أحدث ما صدر عن الدار التونسية للنشر :

من الكتب التى صدرت مؤخرا عن الدار التونسية للنشر :

ـ « وجوه تونسية » Figures Tunisiennes الجزء الثانى ، وفيه يرسم مؤلفه **صادق الزمرلى** ملامح لشخصيات تونسية بين تاريخية ومعاصرة • وهو محرر باللغة الفرنسية ويشتمل على 125 صفحة محلاة بالصور •

ـ « النازلة التونسية » وهو وثيقة تاريخية عن أولى حلقات كفاح الشعب التونسى وضعه **محمد السنوسى** وحققه **محمد الصادق بسيس** (368 صفحة) •

• كتاب جديد للبشير المجدوب :

ـ « كلمات ••• » هو الكتاب الثانى الذى يضعه **البشير المجدوب** بعد كتابه الاول « بذور » • والاستاذ المجدوب يعرفه قراء « الفكر » من زمن بعيد بواسطة كلماته المنشورة التى واظب على نشرها • نحن نهنئه بهذا الانتاج الجديد ونشكره على النسخة التى أهداها لنا متمنين له التوفيق واطراد الانتاج •

الفهرست

العدد 7 ـ افريل 1976 ـ السنة الواحدة والعشرون

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول

محمد مزالى

رئيس التحرير : **البشير بن سلامة**

سكرتير التحرير: **عبدالواحد براهم**

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس

تليفون : 260.237

الحساب الجارى : 33769 ـ تونس

العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .

اشتراكات بالخارج 3،500 ثلاثة دنانير ونصف

اشتراك الانصار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة أو يصب فى حسابها الجارى : 33769 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم : مدير مجلة « الفكر » صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR - Revue mensuelle culturelle 21° Année N° 7 Avril 1976

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم ـ تونس

- صورة الغلاف من وضع الرسام عبد العزيز شيتة وهى الفائزة بالجائزة الاولى فى الذكرى العشرين لعيد الاستقلال .